

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01110 5594

ML
420
.I2
A2
195



04-B1675 PWT

11

قطوف الأغاني

نهج جديد في ترتيب كتاب « الأغاني »
الشهير لأبي الفرج الأصبهاني ، لم يُحذف
منه إلا الاسنادات والتعريف بالألحان
والقصص والأشعار المنافية للآداب .

وقف على شرحه وتحقيقه

الأستاذ كرم البستاني

أبو الفرج الأصبهاني

ML
420
I2
A2
1951

Abū al-Faraj al-Isbāhānī

Ishāq al-Hawṣilī.

أحمد الموصلي

مكتبة صادر
بيروت

٨١٨
اف اص. اغ اس

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

٦٤٣٥٤

مطبعة المناهل : ٧١ - ١٩٥١

اخبار اسحاق بن ابراهيم

الموصللي

نسبه وكنيته

يُكْنَى أبا محمد ، وكان الرشيد يُولع به فيكنيته أبا صفوان ،
وهذه كنية أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب مَرْحُومًا .

موضعه من العلم والادب

وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحلته من الرواية ،
وتقدمه في الشعر ، ومنزله في سائر المحاسن ، أشهر من أن يُدَلَّ
عليه فيها بوصف ؛ وأما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يُوسم به
وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يُحسّنه ؛ فإنه كان له في سائر أدواته
نُظَرَاءُ وأكفاء ولم يكن له في هذا نظير ؛ فإنه لَحِقَ بمن مضى فيه
وسبق من بقي ، ولَحَبَّ للناس جميعاً طريقه فأوضحها ، وسهّل

١ لحب الطريق : سلكه وأوضحه .

عليهم سبيلَه وأَنارها ؛ فهو إمامُ أهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ومعلمهم ؛
يَعْرِفُ ذلك منه الخاص والعام ، ويشهد به الموافق والمفارق^١ .
على أَنه كان أَكرَه الناس للغناء وأشدَّهم بغضاً لأن يُدعى إليه أو
يُسمَّى به . وكان يقول : لو دِدْتُ أن أُضرب ، كلما أراد مريدٌ مني
أن أغنِّيَ وكلمًا قال قائل إسحاق الموصلي المغنِّي ، عشرَ مقارع ،
لا أُطيق أَكثرَ من ذلك ، وأُغفَى من الغناء ولا ينسُبني من
يذكرني إليه .

وكان المأمون يقول : لولا ما سَبَقَ على السنة الناس وشُهر به
عندهم من الغناء لوليتُه القضاءَ بحضرتي ، فإنه أُولى به وأَعفُ وأصدق
وأكثر ديناً وأمانةً من هؤلاء القضاة .

روايته للحديث

وقد روى الحديثَ ولقيَ أهلَه : مثل مالِك بن أنس ، وسُفيان
ابن عُيينة ، وهُشيم بن بشير^٢ ، وإبراهيم بن سعد^٣ ، وأبي معاوية
الضَّرير^٤ ، ورواح بن عباد^٥ ، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

١ يريد الصديق والعدو .

٢ هو هشيم بن دينار السلمي ويكنى أبا معاوية .

٣ هو إبراهيم بن سعد الزهري ويكنى أبا إسحاق .

٤ اسمه محمد بن خازم مولى لبني عمرو بن سعد .

٥ هو روح بن عباد القيسي ويكنى أبا محمد .

وكان مع كراهته الغناء أضنَّ خلق الله وأشدَّهم بُخلاً به على كل
أحد حتى على جواريه وغُلَّامانه ومن يأخذ عنه مُنتسباً إليه مُتَعَصِّباً
له ، فضلاً عن غيرهم .

تصحيحه لأجناس الغناء

وهو الذي صحَّح أجناس الغناء وطرائقه وميَّزه تمييزاً لم يقدر عليه
أحد قبله ولا تعلَّق به أحد بعده ، ولم يكن قديماً مميّزاً على هذا
الجنس ، إنما كان يقال الثقل ، وثقيل الثقل ، والحفيف ، وخفيف
الحفيف .

وهذا عمرو بن بانة ، وهو من تلاميذه ، يقول في كتابه : الرمل
الأوّل ، والرمل الثاني ؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى
والبنصر ، ولا يعرف المجاري التي ذكرها إسحاق في كتابه ، مثل ما
ميّز الأجناس ، فجعل الثقل الأوّل أصنافاً ، فبدأ فيه بإطلاق الوتر
في مجرى البنصر ، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ، ثم بما كان
بالسبابة في مجرى البنصر ، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه
المرتبة ؛ ثم جعل الثقل الأوّل صنفين ، الصنف الأوّل منهما هذا الذي
ذكرناه ، والصنف الثاني القدر الأوسط من الثقل الأوّل ، وأجراه
المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري ، وألحق جميع الطرائق
والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب .

ثم لم يتعلق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلاً عن أن يُصنّفه في كتابه ؛
فقد ألّف جماعةٌ من المغنّين كتباً ، منهم يحيى المكي ، وكان شيخ
الجماعة وأستاذهم ، وكلّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز ،
وله صنعةٌ كثيرةٌ حسنةٌ متقدّمةٌ ، وقد كان إبراهيم الموصلي وابن جامع
يضطران إلى الأخذ عنه ، ألّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق
فيه ابنه الغناء المُحدَث إلى آخر أيتامه ، فأتيا فيه في أمر الأصابع
بتخليط عظيم ، حتى جعلّا أكثر ما جتساه من ذلك مختلطاً فاسداً ،
وجعلّا بعضه ، فيما زعما ، تشترك الأصابع كلّها فيه .

وهذا محال ؛ ولو اشتركت الأصابع لَمّا احتيج إلى تمييز الأغاني
وتصويرها مقسومةً على صنفين : الوسطى والبصرة .

والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته في رسالة
عملتُها لبعض إخواني ممن سألني شرحَ هذا ، فأثبتته واستقصيته استقصاءً
يُسْتغْنَى به عن غيره .

وهذا كله فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه ، حتى أتى على كل ما
رسمته الأوائلُ مثل إقليدس ومن قبله ومن بعده من أهل العلم
بالموسيقى ، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنّوا فيه الدهور ، من غير
أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه .

حدثني علي بن يحيى المنجم قال :

كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فسأل إسحاق الموصلي ،

أو سأله محمد بن الحسن بن مُصعب ، بحضرتي ، فقال له : يا أبا محمد ،
أرأيت لو أنَّ الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنَّعمة الحادثة التي هي
العاشرة على مذهبك ، أين كنت تخرج منه ؟

فبقي إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكراً ، واحمرَّت أذناه وكانتا
عظيمتين ، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرَّتا وكثُر ولُوعه بهما ؛
فقال لمحمد بن الحسن : الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنما يكون
بالضرب . فإن كنتَ تضرب أريتُكَ أين تخرج !

فخجل وسكت عنه مُغضباً ، لأنه كان أميراً وقابله من الجواب
بما لا يحسن ، فحلَّم عنه .

قال عليّ بن يحيى : فصار إليّ به وقال لي : يا أبا الحسن ، إنَّ هذا
الرجل سألتني عما سمعت ، ولم يبلغ علمه أن يستنبط مثله بقريحته ،
وإنما هو شيء قرأه من كتب الأوائل ، وقد بلغني أن التراجمة عندهم
يترجمون لهم كتب الموسيقى ، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطنيه .
فوعده بذلك ، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها .

وإنما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله ، لأنه من
أعجب شيء يؤثّر عنه : أنه استخرج بطبعه علماً رسمته الأوائل لا
يُوصَل إلى معرفته إلا بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما
بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى ، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه
واستنبطه بقريحته ، فوافق ما رسمه أولئك ، ولم يشدّ عنه شيء يحتاج
إليه منه ، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عرفه ، ثم تبَيَّن بعد هذا ،

بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته ، فضله على أهلها كلهم
وتميّزه عنهم وكونه سماءهم أرضها ، وبحراً هم جدّ أوله .

ام اسحاق وجنسها

وأمّ إسحاق امرأة من أهل الريّ يقال لها شاهك ؛ وذكر قوم أنها
دُوشار التي كانت تُغني بالدّفّ ، فهوّيها إبراهيم وتزوّجها . وهذا
خطأ ، تلك لم تلد من إبراهيم إلا بنتاً ، وإسحاق وسائر ولد إبراهيم من
شاهك هذه .

منهاج دراسته

أخبرني يحيى بن عليّ المنجم عن إسحاق قال :
بقيتُ دهرًا من دهري أغلّس^١ في كلّ يوم إلى هُشيم فأسمع منه ،
ثم أصير إلى الكيسائيّ أو الفراء أو ابن غزّالة فأقرأ عليه جزءاً من
القرآن ، ثم آتي منصورَ زلزل فيضاربني طرّقين^٢ أو ثلاثة ، ثم آتي
عاتكة بنت شهدة^٣ فأخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعيّ

١ أغلّس : آتي في الغلس وهو ظلمة آخر الليل .

٢ الطرق : صوت أو نغمة بالعود ونحوه .

٣ إحدى المغنيات المحسنات .

وأباً عُبَيْدَةً فَأَنَاشِدَهُمَا وَأُحَدِّثُهُمَا فَاسْتَفِيدَ مِنْهُمَا ، ثُمَّ أَصِيرُ إِلَى أَبِي فَأَعْلِمُهُ
مَا صَنَعْتُ وَمَنْ لَقَيْتُ وَمَا أَخَذْتُ وَأَتَغَدَّى مَعَهُ ، فَإِذَا كَانَ الْعِشَاءُ
رُحْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ .

زلزل يعلمه

أَخَذَ مَنِّي^١ مَنْصُورُ زَلْزَلٍ إِلَى أَنْ تَعَلَّمْتُ مِثْلَ ضَرْبِهِ بِالْعُودِ أَكْثَرَ
مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

تقدير ابن عائشة والمأمون له

كُنْتُ^٢ عِنْدَ ابْنِ عَائِشَةَ فَجَاءَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ ،
فَرَحَّبَ بِهِ وَقَالَ : هَاهُنَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِلَى جَنْبِي ، فَلَمَّا بَعْدَتْ بَيْنَنَا
الْأَنْسَابُ ، لَقَدْ قَرَّبْتُ بَيْنَنَا الْآدَابَ .

حَدَّثَنَا^٣ ابْنُ شَيْبَةَ مِنْ جُلَسَاءِ الْمَأْمُونِ عَنْهُ : أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا ، وَإِسْحَاقُ
غَائِبٌ عَنْ مَجْلِسِهِ : لَوْلَا مَا سَبَقَ عَلَى السِّنَةِ النَّاسُ وَاشْتَهَرَ بِهِ عِنْدَهُمْ
مِنَ الْغِنَاءِ لَوَلَّيْتُهُ الْقَضَاءَ ، فَمَا أَعْرِفُ مِثْلَهُ ثَقَّةً وَصَدَقًا وَعَقَّةً وَفَقْهًا .
هَذَا مَعَ تَحْصِيلِ الْمَأْمُونِ وَعَقْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ .

١ الحديث لإسحاق .

٢ الحديث لأحمد بن خيثمة .

٣ الحديث ليزيد بن محمد المهلي .

تقصيه للحديث

سمعت^١ إسحاق الموصلي يقول :

صِرتُ الى سُفيان بن عُيينة لأسمع منه ، فتعذّر ذلك عليّ وصعبَ مَرامُهُ ، فرأيتُهُ عند الفضل بن الرّبيع ، فسألته أن يعرّفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليّ بجديتي ؛ ففعل وأوصاه بي فقال : إنّ أبا محمد من أهل العلم وحمّلتِهِ .

قال : فقلت : تفرّضُ لي عليه ما يحدثني به .

فسأله في ذلك ، ففرّض لي خمسة عشر حديثاً في كل مجلس ؛ فصِرتُ إليه فحدثني بما فرض لي ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدثتني به ؟

قال : نعم ؛ وعقد بيده شيئاً :

قلت : أفأرويه عنك ؟

قال : نعم ؛ وعقد بيده شيئاً آخر ، ثم قال : هذه خمسة وأربعون حديثاً ؛ وضحك إليّ وقال : قد سرّني ما رأيتُ من تقصّيك في الحديث وتشدّدك فيه على نفسك ، فصرّ إليّ متى شئتَ حتى أحدثك بما شئتَ .

١ الحديث للمخرمي عن أبيه .

اسحاق والضرير

جئت^١ يوماً الى أبي معاوية الضرير ومعي مائة حديث ، فوجدت حاجبه يومئذ رجلاً ضريراً ؛ فقال لي : إنَّ أبا معاوية قد ولاَّني اليوم حِجْبَتَهُ لينفعني .

فقلت : معي مائة حديث وقد جعلتُ لك مائة درهم إذا قرأتها . فدخل واستأذن لي فدخلت ؛ فلما عرفني أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأت ، وإنما جعلت لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأما أبو محمد وأمثاله فلا .

ثم أقبل عليَّ يُرَغِّبني في الإحسان اليه ويذكر ضعفه وعنايته به . فقلت له : احتكِم في امره .

فقال : مائة دينار ؛ فأمرت بإحضارها الغلام ، وقرأت عليه ما أردت وانصرفت .

من ماله ومن أدبه

وقف أبو عبد الله بن الأعرابي على المدائني ، فقال له : الى أين يا أبا عبد الله ؟

١ الحديث لاسحاق .

فقال : أمضي الى رجل هو كما قال الشاعر :

نَحْمِلْ أَشْبَاحَنَا إِلَى مَلِكٍ
نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ ، وَمِنْ أَدَبِهِ

فقال له : وَمَنْ ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؟

قال : أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي .

قال أبو بكر : والبيت لأبي تمام الطائي .

وكان إسحاق 'يُجْرِي عَلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فِي كُلِّ سَنَةٍ ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ ،
وَأَهْدَى لَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ شَيْئاً مِنْ كِتَابِ النُّوَادِرِ كَتَبَهُ لَهُ بِخَطِّهِ ؛ فَمَرَّ
ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ يَوْمَئِذٍ عَلَى بَابِ دَارِ الْمُوصِلِيِّ وَمَعَهُ صَدِيقٌ لَهُ ؛ فَقَالَ لَهُ
صَدِيقُهُ : هَذِهِ دَارُ صَدِيقِكَ أَبِي مُحَمَّدٍ إِسْحَاقَ .

فقال : هذه دارُ الذي نأخذُ من ماله ومن أدبه .

يرث الشعر من جرير

رأيتُ في منامي كأنَّ جريراً جالساً يُنشدُ شعره وأنا أسمعُ منه ،
فلما فرغ أخذ بيده كُتْبَةَ شعره فألقاها في فمي فابتلعها ؛ فأولَّ ذلك
بعضُ من ذِكرتهُ له أنه ورثني الشعرَ .

١ الحديث لإسحاق .

قال يزيد بن محمد : وكذلك كان ، لقد مات إسحاق وهو أشعر
أهل زمانه .

بذله المال لززل

قال لي أبي^١ : أعطيت منصور زلزل من مالي خاصة حتى تعلمت
ضربته بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذته له من
الحلفاء ومن أبي .

قال : وكانت في زلزل ، قبل أن يعرف الصوت ويفهمه ، بلادة
أول ما يسمعه ، حتى لو ضرب هو وغلّامه على صوت لم يعرفاه قبل
لكان غلامه أقوى منه ؛ فإذا تفهمه جاء فيه من الضرب بما لا يتعلق
به أحد البتة .

أجازته لبيت ارتجالاً

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن إسحاق قال :
قال لي أبو زياد الكلابي : أو لم جارت لي يكنى أبا سفيان وليمة
ودعاني لها ، فانتظرت رسوله حتى تصرّم يومي فلم يأت ، فقلت لامرأتي :

١ الحديث لحماذ بن اسحاق .

إِنَّ أَبَا سَفِيَّانَ لَيْسَ بِمَوْلٍ
فَقُومِي فَهَاتِي فَلَقَّةً مِنْ حُورِكَ^١

قال اسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا ؟

فقال : لا ، إنما أرسلته يتيماً .

فقلت : أفلا أُجيزه ؟

قال : شأنك .

فقلت له :

فمِيتُكَ خَيْرٌ مِنْ بُيُوتٍ كَثِيرَةٍ ،
وَقِدْرُكَ خَيْرٌ مِنْ وَلِيمَةٍ جَارِكَ

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي أنت وأمي ، جئتَ والله به
قَبْلًا^٢ ما انتظرتَ به القَرَبَ^٣ ، وما ألومُ الخليفةَ أن يجعلَكَ في سُمَّارِهِ
ويتملِّحَ بك ، وإنك لمن طرازٍ ما رأيتُ بالعراق مثله ، ولو كان
الشباب يُشْتَرَى لابتعته لك بإحدى عينيَّ ويُمْنِي يديَّ ، وعلى أن
فيكَ بحمد الله ومَنته بقيَّةُ تسرِّ الودود ، وترغِمُ الحسود .

وأخبرني بهذا الخبر محمد بن عَمَّار فقال :

١ الفلقة : القطعة . الحوار : ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ويفصل .

٢ القبل : الارتجال وهو ان يتكلم أحد بكلام لم يكن قد أعده .

٣ كنى بالقرب عن انه جاء بالكلام عفو الخاطر دون ان يسعى في طلبه .

قالت امرأة القَتَّال الكلابي له : هل لك في فِلَقَة من حُوار
نطبخها لك ؟

فقال : لا والله ، نحن على وليمة أبي سُفْيَان ودَعَوْتِه .
وكان أبو سُفْيَان رجلاً من الحَيِّ زُفَّتْ إليه امرأته تلك الليلة ؛
فجعل يَنْظُر دُخَاناً فلا يراه ، فقال :

إنَّ أبا سُفْيَان ليس بمُؤْلِمٍ
فقومي فهاتي فِلَقَةً من حُوارِكِ .

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدم من الذي قبله .

اسحاق والاعرابي

أنشدت^١ أعرابياً فهماً شعراً لي ، فقال : أفقرتَ والله يا أبا محمد .
قلتُ : وما أفقرتَ ؟
قال : رعبتَ قَفْرَةً لم تُرْعَ قبلك . يريد : أبْدَعْتَ .

دقة فهمه للغناء

حدَّثني^٢ بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال : سمعتُ إسحاق
الموصلي يقول :

١ الحديث لاسحاق .

٢ الحديث للمبرد .

دخلتُ على المأمون يوماً وعَقِيدُ يَغْنِيهِ ارتجلاً وغيرُهُ يضرب
عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تسمع مغنينا هذا ؟

فقلتُ : هل سأل أميرُ المؤمنين عن هذا غيري ؟

قال : نعم ، سألتُ عمي إبراهيمَ فوصفه وقرّظه واستحسنه .

فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك ،
إن الناس قد أكثرُوا في أمري حتى نَسَبَتْنِي فرقة إلى التزيُّد في علمي .

فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لَزِمَكَ .

فقلتُ لعَقِيد : اردُد هذا الصوت الذي غَنَيْتَهُ آنفاً ، وتحفّظْ فيه .

وضربَ ضاربُهُ عليه ؛ فقلتُ لابراهيم بن المهديّ : كيف رأيته ؟

فقال : ما رأيتهُ شيئاً يُكره ولا سمعتهُ .

فأقبلتُ على عَقِيد فقلتُ له حين استوفاه : في أيّ طريقةٍ هذا
الصوتُ الذي غَنَيْتَهُ ؟

قال : في الرَّمَل .

فقلتُ للضارب : في أيّ طريقةٍ ضربتَ أنتَ ؟

قال : في الهَزَج الثقيل .

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ما عسيتُ أن أقول في صوت يغني مغنّيه
رَمَلاً ويضرب ضاربُهُ هَزَجاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي
ضرب عليه !

قال : وتفهمه إبراهيم بن المهديّ بعدي ، فقال : صدق يا أمير المؤمنين ،
الأمرُ فيه الآن بَيِّن .

فغاطني ، فقلت له : بأي شيء بان الآن ما لم يكن بيتنا قبل ؟
أتوهم أنك استنبطت معرفة هذا ! وإنما قلتها لما علمته من جهتي كما يقوله
العلمان العجيب وسائر من حضر اتباعاً لي واقتداءً بقولي .
فقال له المأمون : صدق .

فأمسك ، وجعل يتعجب من ذهاب ذلك على كل من حضر ، وكنائي
في ذلك اليوم مرتين .

يعجب بشعره

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال :
ان الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه الحُزَيْمَةَ بنِ خازم^١ :

إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنْصِبِي ،
ودافعَ صَيْمِي خَازِمٌ وابنُ خازمِ
عَطَسْتُ بأنفٍ شامخ ، وتناولتُ
يَدَايَ الثَرِيَّا قَاعِدًا ، غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأصمعيّ يَعْجَبُ منهما ويستحسنهما ، وكان بعد ذلك
يذكرهما ويفضلهما .

١ هو أحد اشراف الدولة العباسية .

سبب توليه خازماً

قال ابن حَمْدُون : وكان السبب في تولي إِسْحَاقَ خَازِمَ بنَ خُزَيْمَةَ ابن خَازِم ، أَنَّ مَنَاطِرَةً جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ جَامِعَ بِحَضْرَةِ الرَّشِيدِ فَتَغَالُظاً^١ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ جَامِعَ : يَا مَنْ إِذَا قُلْتُ لَهُ يَا بَنَ ... لَمْ أَخَفْ أَن يَكْذِبَنِي أَحَدٌ .

فَمَضَى إِلَى خَازِمِ بنِ خُزَيْمَةَ ، فَتَوَلَّاهُ^٢ وَانْتَمَى إِلَيْهِ ، فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَقَالَ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ .

المعتصم يمتحنه بصوت

قال إِسْحَاقُ : كَانَتْ عِنْدِي صَنَاجِعَةٌ^٢ كُنْتُ بِهَا مُعْجِباً ؛ وَاسْتَهَاها أَبُو إِسْحَاقَ الْمَعْتَصِمُ فِي خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ ؛ فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَنْزِلِي إِذَا بِيَايِي يُدَقُّ دَقّاً شَدِيداً ، فَقُلْتُ : انظُرُوا مِنْ هَذَا .
قَالُوا : رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقُلْتُ : ذَهَبْتُ صَنَاجِجِي ، تَجِدُهُ ذَكَرَهَا لَهُ ذَاكِرٌ فَبَعَثَ إِلَيَّ فِيهَا .
فَلَمَّا مَضَى بِي الرَّسُولُ انْتَهَيْتُ إِلَى الْبَابِ وَأَنَا مُشْخَنٌ^٣ ، فَدَخَلْتُ

١ تغالظا : تعاديا وتشامتا .

٢ الصناجعة : الضاربة بالصنج ، صفيحة مدورة تتخذ من نحاس يضرب بها على أخرى مثلها للطرب .

٣ مشخن : مهموم محزون .

فسلمت، فردّ السلام، ونظر الى تغيّر وجهي فقال: اسكن،
فسكنت؛ وسألني عن صوت وقال: أتدري لمن هو؟
فقلت: أسمعُه ثم أخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك.
فأمر جارية من وراء الستارة فغنته وضربت، فإذا هي قد شبّهته
بالقديم.

فقلت: زدني معها عوداً آخر فإنه أثبت لي.
فزادني عوداً آخر؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا الصوت 'محدث
لامرأة ضاربة.

فقال: من أين قلت ذلك؟

فقلت: لما سمعته وسمعت لبيته عرفت أنه من صنعة النساء؛
ولما رأيت جودة مقاطعه علمت أن صاحبه ضاربة.

فقال: من أين قلت ذلك؟

فقلت: لأنها قد حفظت مقاطعه وأجزائه، ثم طلبت عوداً آخر
ليكون أثبت لي فلم أشكك.

فقال: صدقت، الغناء لعريب.

لحن رومي في شعر عرب

حدّثني 'مخارق' مولائنا قالت:

كان لمولاي الذي علّمني الغناء فرّاش رومي، وكان يغني بالرومية

١ الحديث لاسحاق الطاهري.

صوتاً مليحاً اللحن؛ فقال لي مولاي: يا مخارق، خذي هذا اللحن الرومي
فانقلبيه إلى شعر من أصواتك العربية حتى أمتحن به إسحاق الموصلي
فأعلم أين يقع من معرفته .

ففعلت ذلك ؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي ، فأقام وبعث
إليّ أن أدخلي اللحن الرومي في وسط غنائك ، فغنّيته إياه في درج
أصوات مرّت قبله ، فأصغى إليه إسحاق ، وجعل يتفهّمه ويقسّمه
وينفقّد أوزانه ومقاطعته ويوقع عليه بيده ، ثم أقبل على مولاي فقال:
هذا صوت روميّ اللحن ، فمن أين وقع إليك ؟

فكان مولاي بعد ذلك يقول: ما رأيت شيئاً أحسن من استخراج
لحناً رومياً لا يعرفه ولا العلّة فيه ، وقد نُقل إلى غناء عربيّ وامتزجت
نغمته ، حتى عرفه ولم يخفّ عليه .

يقدم زلزلا على ملاحظ

تناظر المغنون يوماً عند الواثق ، فذكروا الضّرّاب وحّدقهم ،
فقدّم إسحاق زلزلاً على ملاحظ ، وملاحظ في ذلك الرياسة على جميعهم ؛
فقال له الواثق : هذا حيف وتعدّ منك .

فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينهما وامتحنهما ، فإن
الأمر سينكشف لك فيهما .

فأمر بهما فأحضرا ؛ فقال له إسحاق: إن للضّرّاب أصواتاً معروفة ،
أفأمتحنهما بشيء منها ؟

قال : أجل ، افعل .

فسمي ثلاثة اصوات كان اولها :

عَلَّقَ قلبي ظبية السَّيْب^١

فضربا عليه ، فتقدّم زلزل وقصر عنه ملاحظ ؛ فعجيب الواصل من
كشفه عما ادّعا في مجلس واحد .

فقال له ملاحظ : فما باله يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ! ولم
لا يضرب هو !

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لم يكن أحد في زماني أضرب مني إلا
أنكم اغفيموني ، فتفلّت مني ؛ وعلى أن معي بقية لا يتعلّق بها أحد من
هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا ملاحظ ، شوّش عودك وهاته .
ففعل ذلك ملاحظ .

فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يخلط الأوتار تخليط متعنّت فهو لا
يألو ما أفسدها .

ثم أخذ العود فجسّه ساعة حتى عرف موقعه ، ثم قال : يا ملاحظ ،
غنّ أي صوت شئت .

فغنّ ملاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاق بذلك العود الفاسد
التسوية فلم يخرجّه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة

١ السيب : كورة من سواد الكوفة ، ونهر بالبصرة فيه قرية كبيرة ، وموضع بخوارزم .

واحدة ، وَيَدُهُ تَصْعَدُ وَتَنْحَدِرُ عَلَى الدَّسَاتِينِ^١ ؛ فَقَالَ لَهُ الْوَاتِقُ : لَا
وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ وَلَا سَمِعْتُ بِهِ ! اطْرَحْ هَذَا عَلَى الْجَوَارِي .

فَقَالَ : هَيْهَاتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا لَا تَعْرِفُهُ الْجَوَارِي وَلَا يَصْلُحُ
لَهَا^٢ ، إِنَّمَا بَلَّغْنِي أَنَّ الْفَهْلِيذَ^٣ ضَرَبَ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ كِسْرَى فَأَحْسَنَ ،
فَحَسَدَهُ رَجُلٌ مِنْ حُذَّاقِ أَهْلِ صَنْعَتِهِ ، فَتَرَقَّبَهُ حَتَّى قَامَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ ،
ثُمَّ خَالَفَهُ إِلَى عَوْدِهِ فَشَوَّشَ بَعْضَ أَوْتَارِهِ ، فَرَجَعَ فَضْرَبَ وَهُوَ لَا يَدْرِي ،
وَالْمُلُوكَ لَا تُصْلَحُ فِي مَجَالِسِهَا الْعِيدَانُ^٤ ، فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ بِذَلِكَ الْعُودَ
الْفَاسِدَ إِلَى أَنْ فَرَّغَ ، ثُمَّ قَامَ عَلَى رِجْلِهِ فَأَخْبَرَ الْمَلِكَ بِالْقِصَّةِ ، فَامْتَحَنَ
الْعُودَ فَعَرَفَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : « زِهْ^٥ وَزِهْ^٥ وَزِهَانْ^٥ زِهْ^٥ » ، وَوَصَلَهُ
بِالصِّلَةِ الَّتِي كَانَ يَصِلُ بِهَا مَنْ خَاطَبَهُ هَذِهِ الْمَخَاطَبَةُ .

فَلَمَّا تَوَاطَّاتِ الرَّوَايَةُ بِهَذَا أَخَذَتْ نَفْسِي وَرُضْتُهَا عَلَيْهِ وَقُلْتُ : لَا
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْفَهْلِيذُ أَقْوَى عَلَى هَذَا مِنِّْي ؛ فَمَا زِلْتُ أُسْتَنْبِطُهُ بَضْعَ
عَشْرَةِ سَنَةٍ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ عَلَى طَبَقَةٍ مِنَ الطَّبَقَاتِ إِلَّا
وَأَنَا أَعْرِفُ نَغْمَتَهُ كَيْفَ هِيَ ، وَالْمَوَاضِعَ الَّتِي يُخْرِجُ النِّغْمَ كُلَّهَا مِنْهَا فِيهَا ،
مِنْ أَعَالِيهَا إِلَى أَسَافِلِهَا ، وَكُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَانِسٍ شَيْئًا غَيْرَهُ ، كَمَا أَعْرِفُ

١ الدَّسَاتِينُ : مَا عَلَيْهِ أَطْرَافُ أَوْتَارِ الْعُودِ مِنْ مَقْدَمِهِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ ، وَتُسَمَّى
الْعَرَبُ ذَلِكَ : الْعَقَبُ .

٢ الْفَهْلِيذُ : عَوَادُ كِسْرَى .

٣ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ وَمَعْنَاهَا : أَحْسَنْتُ أَحْسَنْتُ .

ذلك في مواضع الدساتين ؛ وهذا شيء لا تفي به^١ الجواري .
قال له الواثق : صدقت ، ولئن مت^٢ لتموتن^٣ هذه الصناعة معك ؛
وأمر له بثلاثين ألف درهم .

نسبة هذا الصوت

عُلّقَ قلبي ظبية السّيب ،
جهلاً ، فقد أغري بتعديني

نمت عليها ، حين مرّت بنا ،
مجاسد^٢ ينفخن بالطيب^٣

تصدّها عنا عجوز لها
منكرة^٣، ذات أعاجيب^٣

فكلّما همت^٤ باتيانها
قالت : توقّي عدوة الذّيب^٤

الشعر والغناء لابراهيم .

١ لا تفي به : لا تأتي به وافياً .

٢ المجاسد ، واحدها مجسد : القمصان المصبوغة بالجسد اي الزعفران .

٣ منكرة : مبطضة مكروهة .

٤ همت باتيانها : نويته وأردته ، اصله همت حذف احدى ميميه للتخفيف .

مخله بالغناء

حدثتني^١ دمن جارية إسحاق الموصلي ، وكانت من كبار جواريه وأحظى من عنده ، ولقيتها فقلت لها : أي شيء أخذت عن مولاك من الغناء ؟

فقالت : لا والله ما أخذت أنا عند ولا واحدة من جواريه صوتاً قط ! كان أبخل بذلك ، وما أخذت منه قط إلا صوتاً واحداً ، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة وهو مشحون سكرأ ، فدخل إلى بيت كان ينام فيه ، فرأى عوداً معلقاً فأخذه بيده ، وقال لخدمته : يا غلام ، صبح لي بدمن ، فجاءني الغلام فخرجت ، فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه والعود في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده ، وقد استجفّر^٢ في نغمه وتنوَّق^٣ فيها حتى استقام له ، وهو :

ألا ليْلُك لا يَذْهَبُ ؛
ونَيْطَ الطَّرْفُ بالكوكب ؛

وهذا الصَّبحُ لا يأتي
ولا يدنو ولا يقرب

١ الحديث لمحمد اليزيدي .

٢ استجفّر في الشيء : مضى فيه ولم يتمكث .

٣ تنوَّق في الشيء : جوده وتأنق فيه .

٤ نيط : علق .

فلما سمعته علمت أني إن دخلت اليه أمسك ، فوقفت أستسمعه
حتى فرغ منه وأخذته عنه ؛ فلما فرغ منه وضع العود من يده ، وذكر
أنه قد طلبني فقال : يا غلام ، أين دِمن ؟
فقلت : هاتذي .

فقال : مذ كم أنت واقفة ؟
فقلت : منذ ابتدأت بالصوت وقد أخذته .
فنظر إليّ نظراً مُغْضَبٍ أَسِفٍ ، ثم قال : غنّيه .
فغنّيته حتى استوفيته .

فقال لي وقد قَسَرَ وَخَجِلَ : قد بقيت عليك فيه بقيّة أنا
أصلحها لك .

فقلت : لست أحتاج إلى اصلاحك إياه ، وقد والله أخذته على رَغِيكَ .
فضحك .

الشعر والغناء لإسحاق .

يهزأ بابراهيم بن المهدي

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : قال لي إسحاق :
كنت عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ ، فغسّى إبراهيم صوتاً
لابن جامع أخلّ ببعضه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ترك ابن جامع
الناس يحجلون خلفه ولا يلحقونه . وفي هذا الصوت خاصّة .

فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، ما صدق ، وما هذا الصوت بتامّ
الأجزاء .

فقال : كذب والله يا أمير المؤمنين .

فقلت : يا سيّدي ، أنا أوقفه على نقصانه ، فمرّه فليُعِدّ يا أمير
المؤمنين .

فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمع في الاصابة .

فقلت : آفته في البيت الثاني ، فليردّه .

فردّه فنقص من أجزائه وقسمته ، فعرفتّه فأقرّ به ؛ فقلت :
يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلّمني فيها ، وأنا
أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها
مسألة واحدة .

فقال : أويُعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟

فأعفاه .

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن إسحاق ، فذكر نحوه بما
ذكره يحيى ، وذكر أنّ القصة كانت بين يدي المعتصم ؛ وزاد فيها فقال :
أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأوقفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقرّ
بذلك أقرّ به بخارق وعكويه .

فقال : أويُعفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فإنه يعدّل عندي
البُخْتِج^١ .

١ البختج : العصير المطبوخ .

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما يفعل البُخْتِج ؟

قال : يُسْلِحُ .

قلت : قد والله فعل ذلك كلامي به ، ومنه هرب .

فضحك وغطى فاه وقام ؛ فظنَّ إسحاقُ بن إبراهيم المُصْعَبِيّ أنّي قد أغضبته ، ف ضرب بيده الى السيف ؛ فقلت له : لا تحسبُ أنّي أغضبته ؛ فما كنت لأكلّم عمّه بين يديه بهزءٍ من غير إذنه .
فأمسك ؛ وكان لا يُقدِّم أحد ان يكلم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلا بادر الى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له .

يفهم الخطأ بين ثمانين وتراً

دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهدي ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهنَّ العيدانُ يضربنَّ بها ؛ فلما دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته ؛ فقال المأمون : يا إسحاق ، أسمع خطأ ؟

فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين .

فقال لابراهيم : هل تسمع خطأ ؟

فقال : لا .

فأعاد عليّ السؤال .

١ الحديث لإسحاق .

فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وانه لفي الجانب الأيسر .
فأعاد إبراهيم سَمْعَهُ الى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير
المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، مُرِ الجوّاريّ اللواتي على اليمين يُمسكنَ ،
فأمرهنّ فأمسكنَ .

فقلت لابراهيم : هل تسمع خطأ ؟

فتسمع ثم قال : ما هاهنا خطأ .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمسِكُن وتضرب الثامنة .

فأمسكنَ وضربت الثامنة .

فعرف إبراهيمُ الخطأ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ .

فقال عند ذلك لابراهيم : يا إبراهيم ، لا تُمارِ إسحاقَ بعدها ، فإن

رجلاً فهم الخطأ بين ثمانين وِترًا وعشرين حلقًا لجديرٍ ألا تماريه .

فقال : صدقت يا أمير المؤمنين .

وقال الحسين بن يحيى في خبره : وكان في الأوتار كلّها مَشْنَى

فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرب أمير المؤمنين المأمون ، وقال :

لله درُّك يا أبا محمد ! فكُنَّاني يومئذ .

اسحاق من نعم الملك

سمعت^١ الواصل يقول : ما غنَّاني إسحاق قطُّ إلا ظننتُ أنه قد

١ الحديث لاحمد بن حمدون .

زيد لي في ملكي، ولا سمعته يغني غناء ابن سريج إلا ظننت ان ابن سريج قد نشر، وانه ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضراً، فيتقدمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت، حتى اذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننته يتقدمه ينقص؛ وإن إسحاق لنعمة من نعم الملوك التي لم يحظ بمثلها؛ ولو أن العمر والشباب والنشاط بما يشتري لاشتريتهن له بشطر ملكي.

قاضي القضاة واسحاق

سأل اسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرؤاة لا مع المغنين، فإذا أرادته للغناء غناه؛ فأجابه الى ذلك؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء؛ فأذن له. قال^١: فحدثني محمد بن الحارث بن بسخنر أنه كان هو ومُخارق وعلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوس المأمون وخروج الناس من عنده، إذ دخل يحيى بن أكرم وعليه سواده وطويلته^٢، ويده في يد إسحاق يماشيه، حتى جلس معه بين يدي المأمون، فكاد علّويه أن يُجنّ، وقال: يا قوم، أسمعتم بأعجب من هذا! يدخل قاضي القضاة ويده في يد مغنٍ حتى يجلسا بين يدي الخليفة!

١ الحديث لعلي بن يحيى المنجم.

٢ السواد: شعار بني العباس كان يرتديه أشياعهم. والطويلة: قلنسوة عالية مدعمة بميدان كان يلبسها القضاة.

ثم مضت على ذلك مدة ، فسأل إسحاق المأمون أن يأذن له في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة .
قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق ! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها .

منزلته عند الوراق

كان المغنون جميعاً يحضرون مجلس الوراق وعيدانهم معهم إلا إسحاق ، فإنه كان يحضر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أمره الخليفة أن يغثي أحضر له عوداً ، فاذا غثى وفرغ سُلّ من بين يديه الى أن يطلبه .

وكان الوراق كثيراً ما يكتيه رفعاً له من أن يدعو باسمه ؛ وكان إذا غثى وفرغ الوراق من شرب قدحه قطع الغناء ولم يُعِد منه حرفاً إلا أن يكون في بعض بيت فيتمّه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

تفوقه في فنه

أخبرنا يحيى بن عليّ في خبر ذكر إسحاق فيه ، فقال : وعارض معبداً وابن سريج فانتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته ، ولم يبلّغه ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثله .

اغاضته لبراهيم بن المهدي

سمعت^١ علويّ يقول لاسحاق بن إبراهيم الموصلي: إن إبراهيم بن المهدي يعيبك بتركك تحريك الغناء.

فقال له إسحاق: ليتنا نفى بما علمناه، فإننا لا نحتاج إلى الزيادة فيه. ثم قال له: فإنه يزعم أن حلاوة الغناء تحريكه، وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم، وليس يفعل ذلك، إنما يسقط بعض عمله لعجزه عنه، فإذا فعل ذلك فهو بالاضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأسكدار^٢ للكتاب، وهو حينئذ بأن يسمى المحذوف أشبه منه بأن يسمى المحرك.

فضحك علويّ ثم قال: فإن إبراهيم يسمى غناءكم هذا الممسك المدادي.

قال إسحاق: هذا من لغات الحاكّة؛ لأنهم يسمّون الثوب الجافي^٣ الكثير العرض والطول المدادي، وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمي غناءه المحرك الضرابي، وهو الخفيف السخيف^٤ من الثياب في

١ الحديث لمحمد بن راشد الخناق.

٢ الأسكدار: كلمة فارسية معناها حامل البريد.

٣ الجافي: الغليظ.

٤ السخيف: القليل الغزل.

لغة الحاقة ، حتى ندخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة
الملاهي .

ثم قال لعلّويه : بجياقي عليك إلا ما أعدت عليه ما جرى .
فقال له : لا وحياتك لا فعلت ، فإنه يعلم ميني إليكم ، ولكن
عليك بأبي جعفر محمد بن راشد الحنّاق .

فكلمه إسحاق واقسم عليه أن يؤيده ، ففعل وسار إلى إبراهيم
فأخبره ، فجعل كلما أخبره شيئاً تغيّظ وشم إسحاق بأفبح شتم ؛ ثم
جاءه ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلما أخبره بشيء من ذلك ضحك وصفق
سروراً لغيظ إبراهيم من قوله .

وإني^١ لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاق بن إبراهيم
الموصلي ، فسُبرت بمكانه ؛ فقال : قد جاءت بي إليك حاجة .
قال قلت : قل ما شاء الله .

قال : دعني في بيتك ، ودع غلاميك عندي : بُدَيحاً وسليمان ،
وكانا خادمين مغتبيين ، ومرضهما أن يغتنياني ، وأتني بفلان ليغتنيني أيضاً ،
بجياقي عليك ، وانطلق إلى إبراهيم بن المهدي ، فإنه سيُسّر بمكانك ،
فاشرب معه أقداحاً ، ثم قل له : يا سيدي ، أسألك عن شيء ، فإذا قال :
سَلْ ، فقل له : أخبرني عن قولك :

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت منّي

١ الحديث للحنّاق أيضاً .

أي شيء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلا أن تقول : « ذهبوا » بالواو ، فإن قلت : « ذهبوا » ولم تُدِّها انقطع اللحن والشعر ، وإن مددتها قبُح الكلام وصار على كلام التَّبَطُّ .

فقلت له : يا أبا محمد ، كيف أخطب إبراهيم بهذا ؟

فقال : هو حاجتي إليك وقد كلَّفْتُكَ إياها ، فإن استحسنْتَ أن تردني فأنت أعلم .

قال : أفعل ذلك لموضعك على ما فيه علي .

ثم أتيت إبراهيم ، وجلست عنده مَلِيًّا ، وتجارينا الحديث إلى أن خرجنا إلى ذكر الغناء ، فخطبته بما قال لي إسحاق ، فتغيَّر لونه وانكسر ، ثم قال : يا محمد ، ليس هذا من كلامك ، هذا من كلام الجرِّمُقاني ؛ قل له عني : أنتم تصنعون هذا للصناعة ، ونحن نصنعه للهو واللعب والعَبَث .

قال : فخرجتُ إلى إسحاق فحدثته بذلك فقال : الجرِّمُقاني والله مِنَّا أشبهنا بالجرِّمِقة لغةً وهو الذي يقول : « ذهبوا » .
وأقام عندي يومه فرحاً بما بلغته إبراهيم عنه من توقيفه على خطئه .

الصديق الرديء

قال علي بن محمد : قال لي أبي :

كان محمد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما ؛ فإنه طابق^١

١ طابقه على الأمر : وافقه ومالاه .

إبراهيم بن المهدي عليه ، وبلغه عنه من توقيعه أنه يذكره . وكان في محمد
ابن راشد رداءة ونقل للأحاديث ؛ فقال فيه إسحاق :

وَنَدْمَانِ صَدَقَ لَا تُخَافُ أَذَانَهُ ،
وَلَا يَلْفِظُ الْأَخْبَارَ لَفْظَ ابْنِ رَاشِدٍ

دعاني إلى ما يشتهي ، فأجبتُه
إجابة محمود الخلائق ماجدٍ

فلا خيرَ في اللذات إلا بأهلها ،
ولا عيشَ إلا بالخليل المُساعدِ

قال : فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق ؛
فهجّوه بأشعار لم تبلغ مرادّه ، فلم يُظهرها . وبلغ ذلك إسحاقَ
فقال فيه :

وَأَبْيَاتُ شِعْرِ رَائِعَاتٍ كَأَنَّهُا ،
إِذَا أُنْشِدَتْ فِي الْقَوْمِ ، مِنْ حُسْنِهَا سِحْرُ

تَحْفَزَ وَاقْتَلَوْنِي ، لَرَدِّ جَوَابِهَا ،
أَبُو جَعْفَرٍ يَغْلِي ، كَمَا غَلَّتِ الْقِدْرُ

فلم يستطعها ، غير أن قد أعانه
عليها أناس كي يكون له ذكر

١ تحفز : تهبأ للوثوب . اقلولي : وقف على رجليه ولم يستو قائماً .

فيا ضيعة الأشعار ، إذ يقرضونها ،
وأضيع منها من يرى أنها شعر
قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاق واستكفّه وصالحه ، فرجع إليه .

ابن المهدي يسرقه

ان^١ إبراهيم بن المهديّ طرح في منزل أبيه :
أمن آل ليلى عرفت الطلولا ،
بذي حرض ، مائلات^٢ مثولا^٣
بلين ، وتحسب آياتهن ،
عن فرط حولين ، رقاً^٣ محيلاً

الشعر لكعب بن زهير . والغناء لإسحاق . قال : فجاءنا إسحاق
يوماً ، وأقام عند أبي ، وأخرجنا إليه جوارينا ، ومرّ الصوت الذي
طرحه إبراهيم بن المهديّ من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟
قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى .
فقال إسحاق : وما لأبي إسحاق أعزّه الله ولهذا الصوت ! هذا أنا
صنعتّه ، وليس هو كما طرحه .

١ الحديث لمحمد بن واضح .

٢ ذو حرض : واد لبني عبد الله بن غطفان .

٣ فرط : مضي . المحيل : الذي أتت عليه أحوال أي سنون .

قال : فسأله أبي أن يغنيه .

فغناؤه وردده حتى صحَّ لمن عنده ؛ فقال لي أبي : اكتب إلى أبي إسحاق أن أبا محمد أعزّه الله صار إليّ فاحتبسته ، وأنه غنى بحضرتي الصوت الذي ألقينته في منزلك الذي أسكنه ، فزعم أنه صنعه ، وأنه ليس على ما أخذه الجوّاري عنك ، فأحييت أن أعلم ما عندك ، جعلني الله فداك .

قال : فكتبت الرقعة وأنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جعلت فداك ، صدق أبو محمد أعزّه الله ، الصوت له ، وهو على ما ذكره ، لكنني لعبت في وسطه لعباً أعجبني .

فقرأ إسحاق الرقعة فغضب غضباً شديداً ، ثم قال لي : اكتب إليه : إذا أردت يا هذا أن تلعب فالعب في غناء نفسك لا في غناء الناس ، وما حاجتك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنع أنت إن كنت تحسن ، والعب في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غير مشارك في جدّ الناس بلعبك ومفسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيّدك الله ، ليس هذا الصوت بما يتهيأ لك أن تمخرق^١ فيه وتقول : جندرت^٢ه .

قال : وكان إبراهيم يقول : إنه يُجنّد صنعة القدماء ويحسنها .

١ مخرق : موه .

٢ جندرت : اصلحته وصقلته .

مناظرته لابن المهدي عند المعتصم

قال علي بن محمد : حدثني جدي حمّدون :

أنّ إسحاق قال لابراهيم بن المهديّ بحضرة المعتصم : ما تقول فيمن يزعم أنّ ابن سُرَيْج وابن مُحَرَّر ومُعَبِّدًا ومالكًا وابنَ عائشة لم يكونوا يُحَسِّنُونَ تَمَامَ الصَّنْعَةِ ولا استيفاء الغناء ، ويعجزون عما به يكمل ويَتِمُّ ويَحْسُنُ ، وأنه أقدر على الصنعة منهم ؟

قال أقول : إنه جاهل أحق .

قال : فأنت تزعم أنه قد كانت بَقِيَّةٌ عليهم أشياء لم يهتدوا لها ولم يحسنوها ، فتنبّهت عليها أنت وتَمَمَّتها وحسنتها بِجَنَدَرَتِكَ .

قال : فضحك المعتصم وبقي إبراهيم واجماً مُطَرِّقاً ، ولم ينتفع بنفسه بقيّة يومه ؛ وما سمعته أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدمين ، حتى يُطْنِبَ في صنعته ويُسْتَهَى استماعه منه ، كما كان يدّعي قديماً .

قال : وكان حمّدون يقول : كان إبراهيم يأكل المغنّين أكلاً ، حتى يحضر إسحاق ، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأته ، ولا يدعُ إسحاقُ تبكيته ومعارضته ؛ وكان إسحاقُ آفته ، كما أن لكل شيء آفة .

يتغنى بشعر ذي الرمة

خرجت^١ يوماً من داري وأنا مخمور^٢ أتستهم الهواء ، فمررت برجل
يُنشد رجلاً معه لذي الرمة :

ألم تعلمي يا مَيُّ أنِّي ، وبيننا
مَهاوٍ لَطَرَفِ العين فيهنَّ مَطَرَح^٣

ذكرتك أن مرّت بنا أمُّ شادن ،
أمامَ المَطَايا تَشْرَبُ وتَسْنَح^٤

من المؤلفات الرمل أدماء ، حُرّة ،
شُعاعُ الضحى ، في مَتْنِها ، يتوضّع

هي الشَّبّهُ أعطافاً وجيداً ومُقَلّةً ،
ومَيّةٌ منها ، بَعْدُ ، أبهى وأملَحُ

١ الحديث لاسحاق .

٢ مهاو ، جمع مهواة : وهي ما بين الجبلين ، يريد أنها بعيدة بعداً يسرح معه الطرف .

٣ أم شادن : كنية الظبية ، والشادن ولدها الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عنها . تشرّب : ترفع رأسها .

٤ المؤلفات الرمل : التي الفته وسكنت اليه . الادماء : البيضاء في غبرة . الحرة : الكريمة . يتوضّع : يبرق .

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِجَّتْ مُتُونُهُ
 عَلَى عَشْرِ ، نَهَى بِهِ السَّيْلَ أَبْطَحَ
 لَقْنُ كَانَتْ الدُّنْيَا عَلَيَّ ، كَمَا أَرَى ،
 تَبَارِيحَ مِنْ مَيِّ ، فَلَكَمُوتُ أَرْوَحَ

فَأَعْجَبَنِي ، فَصَنَعْتُ فِيهِ لَحْنًا غَنَّتْ بِهِ الْمَأْمُونُ ، فَأَخَذْتُ بِهِ مِنْهُ
 مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

غلاما ابن الرشيد

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي يَنْشُو مَوْلَى أَبِي أَحْمَدَ
 ابْنِ الرَّشِيدِ قَالَ :

اشْتَرَانِي مَوْلَايَ أَبُو أَحْمَدَ ابْنُ الرَّشِيدِ ، وَاشْتَرَى رَفِيقِي مَحْمُومًا ،
 فَدَفَعْنَا إِلَى وَكَيْلٍ لَهُ أَعْجَمِي خُرَّاسَانِيٌّ ، وَقَالَ لَهُ : انْهَضْ بِهَذَيْنِ الْغَلَامَيْنِ
 إِلَى بَغْدَادَ إِلَى إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ ؛ وَدَفَعَ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَشَهْرِيًّا^٢
 بِسَرَّجِهِ وَلِجَامِهِ ، وَثَلَاثَةَ أَدْرَاجٍ^٣ مِنْ فِضَّةٍ مَمْلُوءَةٍ طَيِّبًا ، وَسَبْعَةَ

١ البرى ، واحدها برة : الخلاخيل والخلق . العاج : اسورة من العاج . عيجت : لويت .
 العشر : شجر ناعم لين مستو . نهى به : أبلغه وأوصله . شبه ساعديها وساقها بالعشر في
 استوائه ولينه .

٢ الشهري : ضرب من البراذين .

٣ الأدرج ، واحدها درج : شيء صغير كالقفة تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها .

تُخَوْتُ ١ من بَزٍّ ٢ خُرَّاسَانِيٍّ، وعشرة أسفاطٍ ٣ من بَزٍّ مصر، وخمسة
تخوتٍ وَشِيٍّ كُوفِيٍّ، وخمسة تخوتٍ خَزٍّ سُوسِيٍّ، وثلاثين ألف
درهم للنفقة .

وقال للرسول : عَرَفَ إِسْحَاقُ أَنَّ هَذَيْنِ الْغَلَامَيْنِ لِرَجُلٍ مِنْ وَجْهِ
أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، وَجَّهَ بِهِمَا إِلَيْهِ لِيَتَفَضَّلَ وَيَعْلَمَهُمَا أَصَوَاتًا اخْتَارَهَا ،
وَكَتَبَهَا لَهُ فِي دَرَجٍ ٤ .

وقال له : كَلَّمَا عَلَّمَهُمَا صَوْتًا أَدْفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ دَرْهَمٍ ، حَتَّى يَتَعَلَّمَا
بِهَا مِائَةَ صَوْتٍ ، فَإِذَا عَلَّمَهُمَا الصَّوْتَيْنِ اللَّذَيْنِ بَعْدَ الْمِائَةِ فَادْفَعْ إِلَيْهِ
الشَّهْرِيَّ ، ثُمَّ إِذَا عَلَّمَهُمَا الثَّلَاثَةَ الَّتِي بَعْدَ الصَّوْتَيْنِ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ بِكُلِّ
صَوْتٍ دُرْجًا مِنَ الْأَدْرَاجِ ، ثُمَّ لِكُلِّ صَوْتٍ بَعْدَ ذَلِكَ تَخْتًا أَوْ سَفْطًا ،
حَتَّى يَنْقَدَ مَا بَعَثْتُ بِهِ مَعَكَ .

فَفَعَلَ ، وَانْخَدَرْنَا إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَتَيْنَا إِسْحَاقَ ، وَغَنَيْنَا بِحَضْرَتِهِ ، وَبَلَّغَهُ
الْوَكِيلُ الرِّسَالَةَ ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُلْقِي عَلَيْنَا الْأَصْوَاتَ حَتَّى أَخَذْنَاهَا كُلَّأَمْرًا
سَيِّدُنَا .

ثُمَّ سَرَرْنَا إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى ، فَدَخَلْنَا إِلَيْهِ وَغَنَيْنَاهُ جَمِيعَ مَا أَخَذْنَاهُ
فَسَرَّهُ ذَلِكَ .

وَقَدِمَ إِسْحَاقُ سُرًّا مَنْ رَأَى ، وَلَقِيَهِ مَوْلَانَا ، فَدَعَا بِنَا وَأَوْصَانَا

١ التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

٢ البز : الثياب من القطن أو الكتان .

٣ أسفاط ، واحدها سفت : وعاء كالجوالق أو كالفقة .

٤ الدرج : الذي يكتب فيه .

بما أراد ، وغدا بنا الى الواثق وقال : إنكما ستريان إسحاق بين
يديه ، فلا تُسلما عليه ولا توهماه أنكما رأيتهما قط .

وَأَلْبَسَنَا أَقْبِيَّةَ خُرَاسَانِيَّةٍ وَمُضِينَا مَعَهُ ؛ فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَى الْوَائِقِ
قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ، هَذَانِ غَلَامَانِ اشْتَرِيَا لِي مِنْ خُرَاسَانَ يَغْنِيَانِ
بِالْفَارْسِيَّةِ .

فَقَالَ : غَنِّيَا .

فَضَرَبْنَا ضَرْبًا فَارْسِيًّا وَغَنَيْنَا غَنَاءً فَهَلِيدِيًّا ؛ فَطَرَبَ الْوَائِقُ
وَقَالَ : أَحْسَنْتُمَا ، فَهَلْ تَغْنِيَانِ بِالْعَرَبِيَّةِ ؟
قُلْنَا : نَعَمْ .

وَانْدَفَعْنَا نَغْنِيَّيَا مَا أَخَذْنَاهُ عَنْ إِسْحَاقَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَغَاوَلُ
عَنْهُ ، حَتَّى غَنَيْنَا أَصَوَاتًا مِنْ غَنَائِهِ .

فَقَامَ إِسْحَاقُ ثُمَّ قَالَ لِلْوَائِقِ : وَحْيَاتِكَ يَا سَيِّدِي وَبَيْعَتِكَ ، وَإِلَّا
كُلَّ مِلْكٍ لِي صَدَقَةٌ وَكُلِّ مَمْلُوكٍ لِي حُرٌّ إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَانِ الْغَلَامَانِ
مِنْ تَعْلِيمِي وَمِنْ قَصَّتَهُمَا كَيْتَ وَكَيْتَ .

فَقَالَ لَهُ أَبُو أَحْمَدَ : مَا أَدْرِي مَا تَقُولُ ! هَذَانِ اشْتَرَيْتَهُمَا مِنْ رَجُلٍ
نَحْتَسُ خُرَاسَانِيًّا .

فَقَالَ لَهُ : بَلَّغْ وَلَعُكَ^١ إِلَيَّ ! وَنَحْتَسُ خُرَاسَانِيًّا مِنْ أَيْنَ يَحْسُنُ
أَنْ يَحْتَارَ مِثْلَ تِلْكَ الْأَغَانِي !

١ الولع : الكذب .

فضحك أبو أحمد ثم قال : صدق ، أنا احتلتُ عليه ولو رُمْتُ أن
يعلمَهما ما أخذه منه ، إذا علمَ أنهما لي ، بعشرة أضعاف ما أعطيته
لما فعل .

فقال له إسحاق : قد تَمَّت عليَّ حيلته .

وقال أبو أحمد للوائق : إن أردتَهما فخذهما .

فقال : لا أفجعُك بهما يا عم ، ولكن لا تمنعني حضورَهما .

فقال له : قد بذلتُ لك الملك فلم تُؤثره ، أفتُراني
أمنعك الخدمة !

فكنا نخدمه بنوبة .

كان في ندماء الواثق

حدثني^١ ابن فيلا الطُّنُبُوريّ وكان قد دخل على الواثق
وغنّاه ، قال :

قال الواثق في بعض العَشَايا : لا يبرحُ أحدٌ من المغتَين الليلة ، فقد
عزمتُ على الصَّبُوح في غد .

فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلا إسحاق فإنه قال له : لا وحياتِكَ
ما أبيتُ .

١ الحديث لأبي عبد الله بن حمدون .

قال : فلا والله ما كان له عند الواصل معارضة^١ أكثر من أن قال
له : فبيحياتي إلا^٢ بكُرت يا أبا محمد .

قال : فرأيت مخارقاً وعلّويه قد تقطعا غيظاً ، وبتنا في بعض
الحُجَر ، فقالا لي : اجلس على باب الحجرة ، فإذا جاء إسحاق فعرّفنا
حتى ندخل بدخوله .

فلم نلبث أن جاء إسحاق مع أحمد بن أبي دؤاد يماشيهِ في زيهِ
وسواده ، وطويلتهُ مثل طويلته ، فدخلت فأعلمتهما ؛ فقامت على
علّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، خينا^١ كرا يدخل الى الخليفة مع قاضي
القضاة ! أسمعتم بأعجب من هذا البخت قط !

فقال له مخارق : دَع هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أراد .
ولم نلبث أن خرج ابن أبي دؤاد ودُعِيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق
جالس في صف الندماء لا يخرج منه ، فإذا أمره الواصل أن يُغثي خرج
عن صفهم قليلاً وأتي بعود فغنّى الصوت الذي يأمره به ؛ فإذا فرغ
من القدح قطع الصوت الذي يأمره به حيث بلغ ولم يُتمّه ، ورجع
الى صف الجلّساء .

هو وابن المهدي عند الرشيد

قال لي ابي^٢ : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندماءؤه وخاصته

١ الخيناكر : المغني المضحك .

٢ الحديث لحماذ بن اسحاق .

وفيههم إبراهيم بن المهديّ ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تَغْنَنُ :

شربتُ مُدَامَةً وسُقِيتُ أُخْرَى ،
وراح المُنْتَشُونَ وما انتشيتُ

فغَنَيْتَهُ ؛ فأقبل عليّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أصبتُ
يا إسحاق ولا أحسنت .

فقلت : ليس هذا بما تُحْسِنُهُ ولا تعرفه ، وإن شئتَ فغَنِّهِ ، فإن
لم أجِدْكَ أنك تُخْطِئُ فيه منذُ ابتدأتُك الى انتهائك فدَمِي حلال .
ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة
أبي ، وهي التي قَرَّبَتْنا منك واستخدمتْنا لك وأوطأتْنا بساطِكَ ،
فإذا نازَعْنَا أحَدًا بلا علم لم نجد بُدًّا من الإيضاح والذِّب .
فقال : لا غَرَوَ ولا لوم عليك .

فقام الرشيد ليبول ؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال :
وَيْلَكَ يا إسحاق ! اتَجَرَّيْ عليّ وتقول ما قلتَ يابن ...
فداخِلني ما لم أملك نفسي معه ؛ فقلت له : أنت تشْتِمُنِي ، وأنا لا
أقدِر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك لكنت
أقول لك يابن ... ؛ أو تُرَى أنِّي كنت لا أحسن أن أقول لك يابن ...
ولكن قولي في ذمِّكَ ينصرف جميعه إلى خالك الأعْلَمُ ، ولولاك
لذكرتُ صناعتَه ومذهبه .

١ الأعلام : الذي بشفته العليا أو في جانبها شق .

قال إسحاق : وكان يَنتظاراً .

قال : ثم سكتُ ، وعلمتُ أنَّ إبراهيم يشكوني وأن الرشيد سوف يسأل مَنْ حضر عما جرى فيخبرونه ، فتلافيتُ ذلك ، ثم قلت : أنت تظنُّ أنَّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهددني بذلك وتُعادي كما تُعادي سائرَ أولياء أخيك حسداً له ولولده على الأمر ! فأنت تضعف عنه وعنهم وتستخفُّ بأولياءهم تشفياً ؛ وأرجو ألاَّ يُخرجها الله عن يد الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك ، وبالله العياذ ، فحرامٌ عليَّ العيشُ يومئذ ، والموت أطيب من الحياة معك ، فاصنع حينئذ ما بدا لك .

قال : فلما خرج الرشيد وثب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ، شتني وذكر أمي واستخف بي .

فغضب وقال : ما تقول ؟ ويلك !

قلت : لا أعلم ، فسأل مَنْ حضر .

فأقبل على مسرور وحسين^١ ؛ فسألهما عن القصة ؛ فجعلا يُخبرانه ووجهه يتربد^٢ إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّي عنه ورجع لونه ، وقال لإبراهيم : ما له ذنب ، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك ، ارجع إلى موضعك وأمسك عن هذا .

١ مسرور وحسين : خادمان كانا للرشيد .

٢ يتربد : يتغير .

فلما انقضى المجلس وانصرف الناس أمر بالآلة أبرح، وخرج كل من حضر حتى لم يبقَ غيري ؛ فساء ظنّي وأهمّنتني نفسي ؛ فأقبل عليّ وقال: ويلك يا إسحاق! أتراني لم أفهم قولك ومرادك! قد والله زنيته^١ ثلاث مرات، أتراني لا أعرف وقائعك وأقدامك وأين ذهبت! ويلك! لا تعدّ؛ حدثني عنك، لو ضربك إبراهيم، أكنتُ أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل؟! أتراك لو أمر غلمانَه فقتلوك أكنتُ أقتله بك؟!!

فقلت: يا أمير المؤمنين، قد والله قتلتنّي بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلنّي، وما أشك في أنه قد بلغه الآن.

فصاح بمسرور الخادم وقال: عليّ بإبراهيم الساعة.

فأحضر، وقال: قم فانصرف.

وقلت لجماعة من الخدم، وكلّهم كان لي مُحبباً وإليّ مائلاً ولي مُطيعاً: أخبروني بما يجري؛ فأخبروني من غد أنه لما دخل وبّخه وجهه وقال له: أتستخفُّ بخادمي وصنيعتي ونديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي، وتُقدّم عليّ وتستخفّ بمجلسي وحضرتي؟

هاه هاه^٢! أتُقدّم على هذا وأمثاله! وأنت ما لك وللغناء، وما

١ زناه: قدّنه ونسبه إلى الزنا.

٢ هاه هاه: حكاية لضحك الضاحك والوعيد.

يُدرِيك ما هو ! وَمَنْ أَخَذَكَ بِهِ وَطَارَحَكَ إِيَّاهُ حَتَّى تَتَوَهَّم أَنَّكَ تَبْلُغُ
مَبْلَغَ إِسْحَاقَ الَّذِي غَذِيَ بِهِ وَعُلِّمَهُ وَهُوَ صِنَاعَتُهُ !

ثُمَّ تَظُنُّ أَنَّكَ تُخَطِّئُهُ فِيمَا لَا تَدْرِيهِ ، وَيَدْعُوكَ إِلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْكَ
فَلَا تَتَبُّتْ لَذَلِكَ وَتَعْتَصِمْ بِشَتِّهِ ! أَلَيْسَ هَذَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى السَّقُوطِ
وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَسُوءِ الْأَدَبِ مِنْ دُخُولِكَ فِيمَا لَا يُشْبِهُكَ وَغَلَبَةِ لَذَلِكَ
عَلَى مَرُوءَتِكَ وَشَرَفِكَ ثُمَّ إِظْهَارِكَ إِيَّاهُ وَلَمْ تُحْكَمْهُ ، وَادِّعَائِكَ مَا لَا
تَعْلَمُهُ حَتَّى يَنْسُبَكَ النَّاسُ إِلَى الْجَهْلِ الْمُفْرَطِ !

أَلَا تَعْلَمُ ، وَيَلَيْكَ ، أَنَّ هَذَا سُوءُ أَدَبٍ وَقَلَّةُ مَعْرِفَةٍ وَقَلَّةُ مِبَالَاةٍ
بِالْخَطَايَا وَالتَّكْذِيبِ وَالرَّدِّ الْقَبِيحِ !

ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ الْعَظِيمِ وَحَقِّ رَسُولِهِ ، وَإِلَّا فَأَنَا نَفِيٌّ مِنَ الْمَهْدِيِّ ،
لَئِنْ أَصَابَهُ أَحَدٌ بِسُوءٍ ، أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِ حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ سَقَطَ مِنْ
عَلَى دَابَّتِهِ ، أَوْ سَقَطَ عَلَيْهِ سَقْفُهُ ، أَوْ مَاتَ فَجَاءَهُ ، لَأَقْتُلَنَّكَ بِهِ ؛ وَاللَّهِ !
وَاللَّهِ ! وَاللَّهِ ! فَلَا تَعْرِضْ لَهُ وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، قُمْ الْآنَ فَاخْرُجْ .

فَخَرَجَ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَمُوتَ . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ إِلَيْهِ وَإِبْرَاهِيمُ
عِنْدَهُ ، فَأَعْرَضَتْ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ؛ وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مَرَّةً وَإِلَى مَرَّةٍ وَيَضْحَكُ ،
ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ مَحَبَّتَكَ فِي إِسْحَاقَ وَمِيلَكَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْأَخْذِ عَنْهُ ،
وَإِنَّ هَذَا لَا يَجِيئُكَ مِنْ جِهَتِهِ كَمَا تَرِيدُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَرْضَى ، وَالرَّضَا لَا
يَكُونُ بِمَكْرُوهِ ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَهُ وَاعْرِفْ حَقَّهُ وَبِرَّهَ
وَصِلَّهُ ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ثُمَّ خَالَفَكَ فِيمَا تَهْوَاهُ عَاقِبَتَهُ بِيَدٍ مَنِبَسِطَةٍ
وَلِسَانٍ مُنْطَلِقٍ .

ثم قال لي : قم الى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه .
فقمْتُ إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا .
نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر .

أعاذِلَ قد نهيتَ فما انتهيتُ ؛
وقد طال العتابُ فما ارعويتُ

أعاذِلَ ما كبرتُ ، وفيّ ملهى ،
ولو أدركتُ غايَتَكَ انتهيتُ

شربتُ مُداماً وسقيتُ أخرى ،
وراح المنتشون وما انتشيتُ

أبيتُ مُعذباً ، قلقاً كئيباً ،
لما ألقاه من ألمٍ وقوتِ

الغناء لابن محرز .

يغني الرشيد وينادمه

حدثنا^٢ حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

أرسل إليّ الرشيد ذات ليلة ، فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه

١ في هذا البيت اقواء وهو اختلاف حركة الروي .

٢ الحديث لمحمد بن أبي الازهر .

جارية" عليها قميص 'مورّد' وسراويل 'مورّدة' وقناع 'مورّد' كأنها
ياقوتة على وردة ؛ فلما رأي قال لي : اجلس .

فجلست ؛ فقال لي : غنّ .

فغنّيت :

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرِي لَمَّا جَهَدْتُهُ ،
وَبَيَّنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَتَكَلَّمَا

فقال : لمن هذا اللحن ؟

فقلت : لي يا أمير المؤمنين .

فقال : هاتِ لحنَ ابنِ سُرَيْج .

فغنّيته إياه .

فطرب وشرب رطلاً وسقى الجارية رطلاً وسقاني رطلاً ؛ ثم قال :

غنّ . فغنّيته :

هَاجَ شَوْقِي ، بَعْدَمَا
سُتِّبَ أَصْدَاغِي ، بُرُوقُ

مَوْهِنًا ، وَالْبَرْقُ مِمَّا ،
ذَا الْهَوَى قِدْمًا ، كَشَوْقُ

١ الموهن : نحو من نصف الليل .

فقال : لمن هذا الصوت ؟

فقلت : لي .

فقال : قد كنت سمعت فيه لحناً آخر .

فقلت : نعم ، لحن ابن مُحَرَّر .

قال : هاته . فغنيته فطرب وشرب رطلاً ، ثم سقى الجارية رطلاً

وسقاني رطلاً ؛ ثم قال : غنّ . فغنيته :

أفاطم مهلاً بعضَ هذا التدلّلِ ،

وإن كنتِ قد أزمعتِ صرْمي فأجملِي

فقال لي : ليس هذا اللحن أريد ، غنّ رَمَل ابن سُرَيْج .

فغنيته وشرب رطلاً وسقى الجارية رطلاً ؛ ثم قال : حدثني .

فجعلت أحدثه بأحاديث القِيَان والمغْنِيَيْن طَوْرًا وأحاديث العرب

وأيامها وأخبارها تارة ، وأنشده أشعار القدماء والمحدثين في خلال ذلك ،

إذ دخل الفضلُ بن الربيع ، فحدثه حديثَ ثلاثِ جوارٍ مَلَكَهِنَّ

ووصفهنَّ بالْحُسْن والاحسان والظرف والأدب ؛ فقال له : يا عَبَّاسِي ،

هل تَسْخُو نفسُك بهنَّ ؟ وهل لك من سَلْوَةٍ عنهنَّ ؟

فقال له : والله يا أمير المؤمنين ، إني لأَسْخُو بهنَّ وبنفسي ، فيها

فَدَاكُ الله .

ثم قام فوجه بهنَّ إليه ، فغَلَبْن على قلبه ، وهنَّ سِحْرٌ وضياءٌ

وخنث ذات الخال ؛ وفيهنَّ يقول :

إِنَّ سِحْرًا وَضِيَاءً وَخُنُثُ
هَنْ سِحْرٌ وَضِيَاءٌ وَخُنُثُ

أَخَذْتُ سِحْرٌ ، وَلَا ذَنْبَ لَهَا ،
ثُلُثِي قَلْبِي وَتَرَبَّاهَا الثُّلُثُ

ينادم ابن عائشة

حدثني الصُّولي عن إسحاق قال :

أتيت عبيد الله بن محمد بن عائشة بالبصرة ، فلما دخلتُ إليه
حصرتُ ؛ فقال لي : إن الحَصْرَ رائدُ الحياء ، والحياء عَقِيدُ الايمان ،
فانبسطْ وأزِلِ الوحشة ، فلئن باعدتُ بيننا الأحساب ، لقد قربتُ بيننا
الآداب .

فقلت : والله لقد سررتني بخطابك ، وزدتني ببرك عجزاً عن
جوابك ؛ والله درّ القطاميّ حيث يقول :

أما قريشُ فلن تلقاهمُ أبداً ،
إلا وهم خيرُ من يحفى ويتنعّلُ

١ الرائد : الرسول والمرسل .

هدية وشعر بشعر

وجه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصلي بزعفران رطب وكتب إليه :

اشرب على الزعفران الرطب متكئاً ؛
وانعم نعيم بطول اللهو والطرب
فحرمة الكأس ، بين الناس ، واجبة ،
كحرمة الود والأرحام والأدب

قال : فكتب إليه إسحاق :

اذكر أبا جعفر حقاً أمت به ،
أنّي وإياك مشغوفان بالأدب
وأننا قد رضعنا الكأس درتها ؛
والكأس حرمتها أولى من النسب^١

يودع بشعر

لما أراد^٢ الفضل بن يحيى الخروج إلى خراسان ودعته ، ثم أنشدته

بعد التوديع :

١ درتها : ما تدر به ، والاصل في ذلك اللبن ، واستعير للخمر .

٢ الحديث لإسحاق .

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الْحَيَاةِ ؛
وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدَّيْمِ ١

عَلَيْكَ السَّلَامُ فِكُمْ مِنْ وَفَاءِ
أَفَارِقِ فَيْكَ ، وَكَمْ مِنْ كَرَمِ

قال : فضمتني إليه ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : يا أبا محمد ،
لو حلتيت هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصلح من الخارجين
معنا ، لأهديتَ بذلك إليَّ أنساً وأذكرتني بنفسك .
ففعلتُ ذلك وطرحته على بعض المغنّين ؛ فكان كتابه لا يزال
يرد عليّ ومعه ألف دينار يصلني بذلك كلما غنّيتُ بهذا الصوت .

مكتبته السيارة

أخبرني عمي عن إسحاق قال :
قال لي الأصمعيّ : لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقّة قال لي : هل
حملت معك شيئاً من كتبك ؟
فقلت : نعم ، حملتُ منها ما خفتُ حمله .
فقال : كم ؟
فقلت : ثمانية عشر صندوقاً .

١ الدّيم ، واحدها ديمة : السحابة التي يدوم مطرها .

فقال : هذا لما خففت ، فلو ثقلت كم كنت تحمل ؟
فقلت : أضعافها .
فجعل يعجب .

شعره في المعتصم

حدثني^١ إسحاق قال :

لما ولي المعتصم دخلت إليه في جملة الجلساء والشعراء ؛ فهنأه
القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مستنطقاً ؛ فأنشدته :

لاح بالمفروق منك القتيير^٢
وذوى غصن الشّباب النّضير^٣

هزئت أسماء مني ، وقالت :
أنت يابن الموصليّ كبير^٤

ورأت شيباً برأسي ، فصدت ،
وابن ستين بشيب جدير^٥

لا يروعنك شبي فإيتي ،
مع هذا الشّيب ، حلّو مزير^٦

١ الحديث لعمر بن شبة .

٢ المفروق : وسط الرأس وهو الذي يفرق فيه الشعر . القتيير : أول ما يبدو من الشيب .

٣ المزير : الظريف .

قد يُفَلُّ السيفُ ، وهو 'جراز' ،
ويَصُولُ اللبثُ ، وهو عَقِيرُ^١

يا بني العباس ! أنتمُ شفاءٌ ،
وضياءٌ - للقلوبِ ، ونورُ

أنتمُ أهلُ الخلافةِ فينا ،
ولكم منبرُها والسريُّ

لا يزال المُلْكُ فيكم ، مدى الدهرِ ،
مقيماً ما أقام ثبيرُ^٢

وأبو إسحاق خيرُ إمامٍ ،
ماله في العالمين نظيرُ

ماله ، فيما يرش ويبري ،
غيرَ توفيقِ الاله ، وزيرُ^٣

واضحُ الغرَّةِ للخيرِ فيه ،
حين يبدو ، شاهدٌ وبشيرُ

١ الفل : ثلم ينال حد السيف . الجراز : الماضي . العقير : المجروح .

٢ ثبير : جبل بين مكة وعرفة .

٣ راش السهم : ألزق عليه الريش . برى السهم : نخته . ويريد في قوله « فيما يرش ويبري »
كل ما يقوم به من أعمال .

زانه هَدْيُ تَقَى وِجْلالُ ،
وعفافُ ووقارُ وخيرُ
لو تُباري جودَه الرِّيحُ يومًا ،
نَزَعَتْ ، وهي طليحُ حَسِيرُ^١

في مقدمه من غزاته

قال : فأمر لي بجائزة فضلني بها على الجماعة . ثم دخلتُ إليه يوم
مقدمه من غزاته ، فأنشدته قولي فيه :

لأسماءَ رسمُ عفا باللّوى ،
أقامَ رهيناً اطول البلى
تعاوَرَه الدهرُ ، في صَرَفِه ،
بكرُ الجديدين حتى عفا^٢
إذِ البينُ لم تُخْشَ رَوَعاتُه ،
ولم يصرفِ الحيَّ صَرَفُ الرَّدَى^٣
وإذ مَيْعَةُ اللهو تجري بناءً ،
وحبلُ الوصالِ متينُ القوَى^٤

١ الطليح : التعب الهزيل . الحسير : الكليل .

٢ الجديدان : الليل والنهار .

٣ روعاته : فزعاته . يصرف الحي : يدفعه . صرف الردى : دافع الموت .

٤ الميعة : أول كل شيء . القوى : طاقات الحل ، واحداً قوّة .

فذلك دهرٌ مضى فابكِهِ ؛

ومَنْ ضاقَ ذرعاً بأمرٍ بكى^١

وهل يَشْفِينُكَ ، من غُلَّةٍ ،

بكاؤك في إثر ما قد مضى؟^٢

إلى ابن الرشيد إمام الهدى ،

بعثنا المطيَّ تجوَّب الفلا^٣

إلى ملكٍ حلَّ من هاشمٍ ،

ذوابةً مجدٍ منيفٍ الذرى^٤

إذا قيل أيّ فتى هاشمٍ

وسيدُها ؟ كان ذاك الفتى

به نَعَشَ الله آمالنا ،

كما نَعَشَ الأرضَ صوبُ الحيا^٥

إذا ما نوى فِعْلَ أَكْرُومَةٍ ،

تجاوز ، من جُوده ، ما نوى

١ ضاق ذرعاً به : لم يقدر على حمله .

٢ الغلة : العطش ، والحرارة في الجوف . وأراد هنا شدة الحزن .

٣ تجوَّب : تقطع .

٤ المنيف : العالي . الذرى ، واحدها ذروة : أعلى الشيء .

٥ الصوب : المطر . الحيا : المطر . وقوله صوب الحيا : من باب إضافة الشيء الى نفسه .

كساه الاله رداء الجمال ،
ونور الجلال وهدي التقى

قال : فأمر لي بجائزة ، وقال : لست أحسب هذا لك إلا بعد أن
تقرن صناعتك فيه بالأخرى ، يعني أن أغثي فيه وفي : « هزئت
أسماء مني » ؛ فصنعت في :

هزئت أسماء مني

لحناً ، وفي :

لأسماء رسم عفا باللوى

لحناً آخر وغثيته بهما ، فأمر لي بألفي دينار .

لحن لاسحاق صعب

حدثني أحمد بن أبي العلاء قال : غثيت يوماً بين يدي الوراق
لحن إسحاق في :

هزئت أسماء مني ، وقالت :
أنت يابن الموصلي كبير

قال : فنظر إليّ مخارقاً نظراً شزراً وعرض شفته عليّ ، فلما خرجنا

١ الحديث لأبي يحيى بن علي .

من بين يديّ الواثق قلت : يا أستاذ ، لم نظرتَ إليّ ذلك النظر ؟
أأنكرتَ عليّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي ؟

فقال لي : وَيَحْك ! أتدري أيّ صوت غنّيتَ ! إن إسحاق جعل
صَيْحَةً هذا الصوت بمنزلة طريق ضيقٍ وَعُرَّ صعبٍ المُرْتَقَى ، أحد
جانبيّ ذلك الطريق حرفُ الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادي ؛ فإن
مال مُرتَقِيه عن مَحَبَّتِهِ إلى جانب الوادي هَوَى ، وإن مال إلى الجانب
الآخر نطَحَه حرفُ الجبل فتكسّر ؛ صرّ إليّ غداً حتى أصحّحه لك .

يبني لحنه على الاذان

أخبرني علي بن سليمان الأخفش :

ان إسحاق بات ليلةً عند المعتصم ، وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد
الوهاب المؤذّن أذّن به على باب المعتصم ، فأصغى إليه فأعجبه ، فأعاد
المسبّت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن ؛ فبنى عليه لحنه :
هزئتُ أسماءُ منّي ، وقالتُ

هديته لابراهيم بن المهدي

أخبرني الحسن بن عليّ :

أنّ إبراهيم بن المهديّ قُصِدَ يوماً ، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف

خبره ويدعو له بالسلامة وحسن العقبى ، وكتب إليه : إني سأهدي
إليك هديةً للفصد حسنةً ؛ فوجهه إليه بُدِيحاً غلامه ، فغنّاه لحنه في :

هزئتُ أسماءُ منّي ، وقالتُ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبلنا الهدية ، فإن كان أذن لك في
طرحه على الجوّاري فافعل .

فقال له : بذلك أمرني وقال لي : انك ستقول لي هذا القول ، فقال :
إن قاله لك فقل له : لو لم آمُرُك بطرحه لم يكن هدية .

فضحك إبراهيم ، وألقاه بُدِيح على جواره .

وقد ذكر عليّ بن محمد بن نصر هذا الخبر ، فذكر أنه كتب إلى
أبيه بهذه الهدية ؛ وهذا خطأ ، لأن الشعر في تهنة المعتصم بالخلافة ،
وإبراهيم الموصلي مات في حياة الرشيد ، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت !

محاورته لعلويه

حدثني أحمد بن يحيى المكيّ قال :

دعاني الفضل بن الربيع ودعا علّوته ومخارقاً ، وذلك في أيام
المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلا أن حاله كانت ناقصة متعضعة ؛

١ الحديث لابن الدهقانة النديم .

فلما اجتمعنا عنده كتب الى إسحاق الموصلي يسأله أن يصير اليه
ويُعَلِّمَهُ الحال في اجتماعنا عنده ؛ فكتب اليهم : لا تنتظروني بالأكل
فقد أكلت ، وأنا أصير اليكم بعد ساعة .

فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قُرِبَ العصر ، ثم وافى إسحاق فجلس
وجاء غلامه بقطر مِيز^١ نبذ فوضعه ناحية^٢ ، وأمر صاحب الشراب
بإسقاؤه منه ، وكان علوويه يغني الفضل بن الربيع في لحنٍ لسيّاط
اقتوحه الفضل عليه وأعجبه ، وهو :

فإن تعجّبي ، أو تبصري الدهر طمّني ،
بأحدائه ، طمّ^٣ المقصص بالجلّم^٤

فقد أترك الأضياف تندي رجالهم ،
وأكرمهم بالمحض والتامك السنم^٥

فقال له إسحاق : أخطأت يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت ، وأنا
أصلحه لك .

فجُنّ علوويه واغتاض وقامت قيامته ؛ ثم أقبل علوويه فقال له :
يا حبيبي ، ما أردت الوضع منك بما قلته لك ، وإنما أردت تهذيبك

١ القطرميز : قلة كبيرة من الزجاج .

٢ طمني : غمرني وقصني . الجلم : المقص . يريد ان الدهر غمره بأحدائه كما يغمر الشعر
المقصص بالجلم او انه قصه كما يقص الشعر ، فيكون في الكلام استعارة القص للاثخان .

٣ المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . التامك السنم : العظيم السنام من الابل .

وتقويمك ، لأنك منسوب الصواب والخطأ إلى أبي وإليّ ، فإن كرهت
ذلك تركتك وقلت لك : أحسنت وأجملت .

فقال له علوّيه : والله ما هذا أردت ، ولا أردت إلا ما لا تتركه أبداً
من سوء عشرتك ! أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك الأمير
وعرفك أنه قد نشط للاصطباح : ما حملك على الترفع عن مباكرته
وخدمته مع صنائعه عندك ، وما كان ينبغي أن يشغلك عنه شيء إلا
الخليفة ! ثم تخبئه ومعك قَطْرٌ مِيزٌ نبذ ترفعاً عن شرايه كما ترفعت
عن طعامه ومجالسته إلا كما تشتهي وحين تنشط ، كما تفعل الأكفاء ،
بل تريد على فعل الأكفاء ؛ ثم تعتمد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه
وسمعه جميع من حضر فما عابه منهم احد فتعيبه ليم تنغيصك إياه
لذته ! أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك إلى مثل ما
دعاك إليه الأمير ، بل بعض أتباعهم ، لبادرت وبأكرت وما تأخرت
ولا اعتذرت .

قال : فأمسك الفضل عن الجواب إعجاباً بما خاطب به علوّيه اسحاق ؛
فقال له اسحاق : أما ما ذكرت من تأخري عنه إلى الوقت الذي حضرت
فيه ، فهو يعلم أنني لا أتأخر عنه إلا بعائق قاطع ، ان وثق بذلك مني
والا ذكرت له الحجة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل .
وأما ترفعي عنه ، فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه
واستمنحه وأعيش من فضله مذكنت ، وهذا تضريب لا أبالي به منك .

١ التضرير : الاغراء بين القوم .

وأما حملي النبذة معي، فإن لي في النبذ شرطاً من طعمه وريحه،
وإن لم أجده لم أقدر على الشرب وتنغصص علي يومئذ، وإنما حملته ليم
نشاطي وينتفع بي .

وأما طعني على ما اختاره، فإني لم أطعن على اختياره، وإنما أردت
تقويمك، ولست والله تراني متبعا لك بعد هذا اليوم ولا مقوماً شيئاً
من خطئك ؛ وأنا أغني له ، أعزّه الله ، هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم
من حضر أنك أخطأت فيه وقصرت . وأما البرامكة وملازمتي هم
فأشهر من أن أجده ، وإني لحقيق فيه بالمعذرة ، وأحرى أن أشكرهم
على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشره ، وذلك والله أقل ما يستحقونه مني .
ثم أقبل على الفضل ، وقد غاظه مدحه لهم ، فقال : اسمع مني شيئاً
أخبرك به بما فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أي قبلي ،
فإن وجدت لي عذراً وإلا فلم :

كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره ، فكان لا يزال
يجري بين غلماني وغلمانه وجواري وجواريه الخصومة ، كما
تجري بين هذه الطبقات ، فيشكونهم اليه ، فأتيتهن الضجر والتنكسر
في وجهه ؛ فاستأجرت داراً بقربه وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواري ،
وكانت داراً واسعة ، فلم أرض ما معي من الآلة لها ولا لمن يدخل إلي
من إخواني أن يروا مثله عندي ؛ ففكرت في ذلك وكيف أصنع ،
وزاد فكري حتى خطر بقلي 'قبح' الاحدوثة من نزول مثلي في دار
بأجرة ، وأني لا آمن في وقت أن يستأذن علي صاحب داري ،

وعندي من أحشمه ولا يعلم حالي ، فيُقال صاحبُ دارك ، أو يُوجّه
في وقت فيطلب أجرة الدار وعندي من أحشمه .

فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد ؛ فأمرت غلامي
بأن يُسرّج لي حماراً كان عندي لأمضي إلى الصحراء أتفرّج فيها مما
دخل على قلبي ، فأسرجه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفضي بي المسير وأنا
مفكر لا أميز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن
خالد ؛ فتوائب غلمانه إليّ ؛ وقالوا : أين هذا الطريق ؟

فقلت : إلى الوزير .

فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ
خجلاً ، قد وقعتُ في أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل
وأعلمته أنني قصدته في تلك الحال كان سوء أدب ، وإن قلت له :
كنت مجتازاً ولم أقصدك فجعلتك طريقاً ، كان قبيحاً .

ثم عزمتُ فدخلتُ ؛ فلما رأيته تبسّم وقال : ما هذا الزّيّ يا أبا
محمد ! احتبسنا لك بالهر والقصد والتفقد ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً .
فقلت : لا والله يا سيدي ، ولكنني أضدّك .

قال : هاتِ ، فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حق
مستور ، أفهذا شغل قلبك ؟

قلت : إي والله !

وزاد فقال : لا تشغل قلبك بهذا ، يا غلام ، ردّوا حماره وعاتوا

له خلعة .

فجاءوني بخِلمة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ، ووَضِع
النبيذ فشربت وشرب ففغنيته ، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة
وكتب أربع رِقايع ظننتُ بعضَها توقيعاً لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا
بعض وكلائه فدفع إليه الرِقايع وسارّه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ؛
ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العتمة .

ثم اتكأ بحبي فنام ، فقمّت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدّم لي
حماري ، فلمّا تجاوزت الدار قال لي غلامي : الى أين تضي ؟

قلت : الى البيت .

قال : قد والله بيعتُ دارك ، وأشهد على صاحبها ، وابتيع
الدَّربُ كلّه ووُزِن ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظرك
ليعرفك ، وأظنه اشترى ذلك للسلطان ، لأنّي رأيت الأمر في استعجاله
واستجثائه أمراً سلطانياً .

فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما
أعمل . فلمّا نزلت على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سارّه يحبي
قد قام إليّ فقال لي : ادخل ، أيّدك الله ، دارك حتى أدخل إلى مخاطبتك
في أمر أحتاج إليك فيه .

فطابت نفسي بذلك ، ودخلتُ ودخل إليّ فأقراني توقيع يحبي :
« يُطلق لأبي محمد إسحاق مائة ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما
يجاورها ويلاصقها . » والتوقيع الثاني الى ابنه الفضل : « قد أمرتُ

لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها داره ، فأطلق اليه مثلها
لِيُنْفِقَهَا عَلَى إِصْلَاحِ الدَّارِ كَمَا يَرِيدُ وَبِنَائِهَا عَلَى مَا يَشْتَهِي . » والتوقيع
الثالث الى جعفر : « قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع
له بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنْفِقَهَا عَلَى
بِنَائِهَا وَمَرَمِّمَتِهَا عَلَى مَا يَرِيدُ ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يُبتاع
بها فرساً لمنزله . » والتوقيع الرابع الى محمد : « قد أمرت لأبي محمد
إسحاق أنا وأخوأك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يُبتاعه ونفقة يُنْفِقُهَا عَلَيْهِ
وَفَرَسٌ يَبْتَدِلُهُ ، فمُرْ له أنت بمائة ألف درهم يَصْرِفُهَا فِي
سَائِرِ نَفَقَتِهِ . »

وقال الوكيل : قد حملت المال واشتريت كل شيء جاورك بسبعين
ألفَ درهم ، وهذه كتب الابتیاعات باسمي والاقرار لك ، وهذا المال
بورك لك فيه فاقبضه .

فقبضته وأصبحت أحسن حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ؛
ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه لي ، أفألام على شكر هؤلاء !
فبكى الفضل بن الربيع وكل من حضر ، وقالوا : لا والله لا تلام
على شكر هؤلاء .

ثم قال الفضل : بحياتي غنَّ الصوت ولا تبخل على أبي الحسن بأن
تُقَوِّمَهُ لَهُ .

فقال : أفعل ؛ وغناه ، فتبيّن علوِّه أنه كما قال ، فقام فقبل
رأسه وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل

أحد ؛ وردّه^١ إسحاقُ مرّاتٍ حتى استوى لعلّوّه .
ولقد روي في هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصة كانت عند عليّ بن
هشام ، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جحظة قال :

دعا عليّ بن هشام إسحاق الموصليّ وسأله أن يصطحب عنده ويُبكّر
فأجابه ؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارق وعلّوّه ؛ فقال
له عليّ بن هشام : أين كنت الساعة يا أبا محمد ؟

قال : عاقني أمر لم أجد من القيام به بدءاً .

فدعا له بطعام فأصاب منه ، ثم قعدوا على نبيذهم ، وتغنّى علّوّه
صوتاً ، الشعر فيه لابن ياسين ، وهو :

إلهي سَنَحَتِ الْوُدَّ مِنِّي بِجِلَّةٍ ؛
وَأَنْتَ عَلَى تَغْيِيرِ ذَاكَ قَدِيرُ

شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤه ؛
وإنّ امرأةً أخفى الهوى لصبورُ

فقال له إسحاق : أخطأتَ ويْلَكَ !

فوضع علّوّه العود وشرب رطلاً وشرب عليّ بن هشام ؛ ثم تناول
العود وغنّى :

١ رده : أعاده .

ولقد أسْمُو الى عُرفٍ ،
في طريقٍ ، موحِشٍ ، جُدْدُهُ^١
حوله ' الأحراس ' تحرسه ،
ولديه ، جاثماً ، أسدُهُ

فقال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلَكَ !

فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له : دعاك الأمير ،
أعزّه الله ، لتبكر إليه ، فجئتُه ' ظهراً ، وغنيتُ ' صوتين يشتهيهما الأمير ،
أعزّه الله ، عليّ ، فخطأتني فيهما ، وزعمتَ أنك لا تغني بين يدي الأمير ،
أعزّه الله ، ولا تغني إلا بين يدي خليفة أو وليّ عهد ، ولو دعاك
بعض البرامكة لكنت ' تسرع إليه ثم تغني مُنْذُ عُدُوَةٍ الى الليل !
فقال إسحاق : إني والله ما أردتُ انتقاصاً منك ، ولا أقول مثله
لغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد ، ولكنني أردتُ بك خاصّة التقويم
والتأديب ؛ فإن ساءك ذلك تركتك في خطئك .

ثم أقبل على عليّ بن هشام ، فقال له : أعزّك الله ، إني أحدثك
عن البرامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره :

دخلت على يحيى بن خالد يوماً ، ولم أكن أردت الدخول عليه ،
وإنما ركبتُ متبذلاً^٢ لهم أهمني ، وكنت نازلاً مع أبي في داره ،

١ جدد : معاله .

٢ التبذل : ترك التزين والتهيو بالهيئة الحسنة الجميلة على جهة التواضع .

فَضِيقْتُ صَدْرًا بِذَلِكَ وَأَحْبَبْتُ النُّقْلَةَ عَنْهُ ، وَنَظَرْتُ فَإِذَا يَدَيَّ تَقْصُرُ
عَمَّا يُصْلِحُنِي .

ثم ذكر الجُبْرَ نَحْوًا مِمَّا قَلْتَهُ . وَزَادَ فِيهِ : أَنَّهُ دَخَلَ إِلَى يَحْيَى بْنِ
خَالِدٍ وَهُوَ مُصْطَبِحٌ ، ، فَلَمَّا رَأَاهُ نَعَرَ^١ وَصَفَّقَ ، وَأَنَّهُ وَقَعَ لَهُ بِمِائَتِي
أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَوَقَعَ لَهُ كُلٌّ مِنْ جَعْفَرٍ وَالْفَضْلِ بِمِائَةِ وَخَمْسِينَ أَلْفًا ،
وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ بِمِائَةِ أَلْفٍ مِائَةِ أَلْفٍ .

وَقَالَ فِيهِ : فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ وَمَنْ حَضَرَ ، وَقَالُوا : لَا يُرَى
وَاللَّهِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ أَبَدًا .

وَأَخَذَ إِسْحَاقُ الْعُودَ فَغَنَّى الصَّوْتَيْنِ فَاتَى فِيهِمَا بِالْعَجَائِبِ ، فَقَامَ
عَلَوِيُّهِ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَسْتَادُنَا وَإِبْنُ أَسْتَادِنَا ، وَمَا بَنَّا عَنْ
تَقْوِيكَ غَنِيًّا .

ثُمَّ غَنَّى بَعْدَ ذَلِكَ لَحْنَهُ : « تَشَكَّى الْكُمَيْتُ الْجَرِي » ، وَلَمْ
يَزَلْ يَغَنِّي بَقِيَّةَ يَوْمِهِ كُلَّمَا شَرِبَ عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَاتَّبَعَهُ
عَلِيُّ بْنُ هِشَامٍ بِجَائِزَةِ سَنِيَّةٍ .

يَشْهَدُ لَهُ بِالصَّنْعَةِ

حَدَّثَنِي^٢ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّبِيعِيُّ قَالَ :
أَحْضَرَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ وَاطْمَأَنَنْتُ ،

١ نعر : صاح وصوت .

٢ الحديث لعون بن محمد .

أخرج إليّ خادمه رقعة ، فقال : اقرأ ما فيها واعمل بما رسمه الأمير ،
أعزّه الله .

فقرأتها فإذا فيها قوله :

يرتاح للدّجن قلبي ، وهو مقتسم^١
بين الهموم ، ارتياح الأرض للمطر^٢

إني جعلت لهذا الدّجن نِحْلته ،
ألا يزول ، ولي في اللهو من وطّر^٢

وتحت هذين البيتين : « تقدّم » ، جعلت فداك ، إلى من بحضرتك
من المغنّين بأن يغنّوا في هذين البيتين ، وألق جميع ما يصنعونه على
فلانة ؛ فإذا أخذته فأنفذهما إليّ مع رسولي . »

فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير ، أعزّه الله ، فهل صنع فيهما
أحد قبلي ؟

فقال : نعم ، إسحاق الموصلي .

فقلت : والله لو كُلف إبليس أن يصنع فيهما صنعة يفضل إسحاق
فيها بل يساويه بل يقاربه ، ما قدر على ذلك ولا بلغ مبلغه .
فضحك حتى استلقى ، وقال : صدقت والله ! وهكذا يقول من

١ الدجن : الباس الغيم الأرض .

٢ النحلة : المذهب والنوع ، يقول انه جعل لهذا الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو .

يعقل لا كما يقول هؤلاء الحمقى ، ولكن اصنع فيهما على كل حال
كما أمر .

فقلت : أفعل وقد برئت من العهدة .

فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة
غناء القرآن .

بيكي شبابه

قال لي المعتصم أو قال لي الواثق : لقد ضحك الشيب
في عارضيك .

فقلت : نعم يا سيدي ، وبكيت ، ثم قلت أبيضاً في الوقت
وغنيت فيها :

تولّى شبابك ، إلا قليلا ،

وحلّ المشيب ، فصبراً جميلاً

كفى حزنًا بفراق الصّبا ،

وإن أصبح الشيب منه بديلاً

ولما رأى الغانيات المشيب ،

أغضينّ دونك طرفاً كليلاً

سَأَنْدُبُ عَهْدًا مَضَى لِلصَّبَا ؛
وَأُبْكِي الشَّبَابَ بَكَاءَ طَوِيلًا

فَبَكَى الْوَائِقَ وَحَزَنَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ عَلَى رَدِّ شَبَابِكَ
لَفَعَلْتُ بِشَطَرٍ مُلْكِي ؛ فَلَمْ يَكُنْ لِكَلَامِهِ عِنْدِي جَوَابٌ إِلَّا تَقْيِيلُ
الْبَسَاطِ بَيْنَ يَدَيْهِ .

اخفاق المغنين

حَدَّثَنِي^١ حَمْدُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ : لَمَّا صَنَعَ أَبُوكَ لَحْنَهُ فِي :

قَفْ بِالْDIYَارِ الَّتِي عَفَا الْقَدَمُ ،
وَغَيَّرَتْهَا الْأَرْوَاحُ^٢ وَالْدَّيْمُ

رَأَيْتَهُمْ ، يَعْنِي الْمَغْنِّينَ ، يَأْخُذُونَهُ عَنْهُ وَيَجْهَدُونَ فِيهِ ؛ فَتَوَفَّي
وَاللَّهِ وَمَا أَخَذُوا مِنْهُ إِلَّا رَسْمَهُ .

نسبة هذا الصوت

قَفْ بِالْDIYَارِ الَّتِي عَفَا الْقَدَمُ ،
وَغَيَّرَتْهَا الْأَرْوَاحُ^٢ وَالْدَّيْمُ

١ الحديث لحماذ بن اسحاق .

٢ الأرواح : جمع ربح .

لَمَّا وَقَفْنَا بِهَا نَسَائِلُهَا ،
فَاضَتْ مِنَ الْقَوْمِ أَعْيُنُ سُجُومٍ^١

ذَكَرًا لَعِيشٍ مَضَى ، إِذَا ذَكَرُوا
مَا فَاتَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ سَقَمُ

وَكُلِّ عِيشٍ ، دَامَتْ غَضَارَتُهُ ،
مَنْقَطِعُ مَرَّةٍ وَمَنْصَرَمُ

الشعر والغناء لإسحاق .

حدثني^٢ عُجَيْفُ بْنُ عَنبَسَةَ قَالَ :

كُنْتُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ وَعِنْدَهُ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ ، فَغَنَّا :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا ،
وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا

فَأَمَرَهُ بِإِعَادَتِهِ ، فَأَعَادَهُ ثَلَاثًا ، وَشَرِبَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ؛ فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ
ابْنُ الْمَهْدِيِّ : قَدْ اسْتَحْسَنْتَ هَذَا الصَّوْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَفَنَأْخُذُهُ ؟
قَالَ : نَعَمْ ، خُذُوهُ فَقَدْ أَعْجَبَنِي .

فَاجْتَمَعَ جَمَاعَةُ الْمُغَنِّينَ : مُخَارِقُ وَعَلَوِيُّ وَعَمْرُو بْنُ بَانَةَ وَغَيْرُهُمْ ،
فَأَمَرَهُ الْمُعْتَصِمُ أَنْ يُلْقِيَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْخُذُوهُ .

١ سَجَمٌ : وَاحِدُهَا سَجُومٌ ، مِنْ سَجَمِ الدَّمْعِ : سَالَ .

٢ الْحَدِيثُ لِهَارُونَ بْنِ الْيَتِيمِ .

فقال عَجِيفُ: فعددتُ خمسين مرّةً قد أعاده فيها عليهم وهم يظنون أنهم قد أخذوه ولم يكونوا أخذوه .

قال هارون : فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمد بن الحارث ابن بُسْخُنَّر ، فقال له عَجِيفُ : يا أبا جعفر، كنت أحدثُ أبا موسى بحديثنا البارحة مع إسحاقَ في الصوت وأني عددت خمسين مرة .

فقال محمد : إي والله ، أصلحك الله ، ولقد عددتُ أنا أكثرَ من سبعين مرّةً وما في القوم أحدٌ إلا وهو يظن أنه قد أخذهُ ، والله ما أخذه أحدٌ منهم وأنا أولهم ما قدرت ، علم الله ، على أخذه على الصحة وأنا أسرعهم أخذاً ، فلا أدري : ألكثرةِ زوائده فيه أم لشدةِ صعوبته ؛ ومن يقدر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً !

يجيز للمعتصم شعراً

قال أبو أيّوب: وحدّثني حمّاد عن أبيه قال : كنتُ يوماً عند المعتصم ، فمرّ شعراً على هذا الوزن فقال : وددت أنه على غير ما هو ؛ فقلت له : أنا لك به على هذا الوزن في أحسن من هذا الشعر :

قُلْ لمن صدّ عاتباً ،
ونأى عنك جانباً

قد بلغت الذي أردت ،
وإن كنت لاعبا

فأعجبه وقال لي : قد والله أحسنت ! وأمر لي بألفي دينار، ووالله
ما كانت قيمتها عندي دَانِقَيْن^١ .
الشعر والغناء في هذين البيتين لاسحاق .

غضب الامين عليه

أخبرني يحيى بن عليّ عن إسحاق قال :
غضب عليّ المخلوع^٢ فأقصاني وجفاني ، فاشتد ذلك عليّ .
قال : وجفاني وهو يومئذ بالأنبار، فحملت عليه بالفضل بن الربيع ،
فطلب اليه فشققه^٣ المخلوع ودعاني وهو مُصْطَبِحٌ ، فلم أزل متوقفاً ،
وقد لبستُ قَبَاءً وخُفّاً أحمرَ واعتصبتُ بعصابة صفراءَ وشددتُ
وسطي بشقّة حمراء من حرير؛ فلما أخذوا في الأهراج دخلتُ وفي يديّ
صفاقتان وأنا أتغنّي :

١ الدانق: سدس الدرهم .

٢ المخلوع : محمد الأمين .

٣ شققه : قبل شفاعته .

اسمع لصوت طريب
من صنعة الأنباري^١

صوت ملبح خفيف ،
يطير في الأوتار

للشعر والغناء لإسحاق ، فسُرَّ بذلك محمد ، وكان صوتهم في
يومهم ذلك ، وأمر لي بثلاثمائة ألف درهم .

وكان سبب تسمية محمد لي بـ « الأنباري » أني دخلت عليه يوماً
وقد لُثَّتْ عمامتي^٢ على رأسي لوثاً غير مستحسن ، فقال لي : يا إسحاق ،
كأنَّ عمامتك من عمام أهل الأنبار .

الاصمعي وشعر اسحاق

قال اسحاق : قلت في ليلة من الليالي :

هل ، الى نظرة اليك ، سبيلُ
يُرو منها الصدى ، ويُشفى الغليل^٣

إنَّ ما قلَّ منك يكثُرُ عندي ،
وكثيرٌ ممن تحبُّ القليلُ

١ الأنباري : نسبة الى الأنبار ، مدينة على الفرات غربي بغداد .

٢ لاث العمامة على رأسه : لفها وعصها .

٣ جزم يرو لضرورة الشعر .

قال : فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ ، فقال : هذا الديباج
الحُسرواني^١ ، هذا الوشي الاسكندرانيّ ، لمن هذا ؟
فقلت له : إنه ابن ليلته .
فتبيّنت الحسدَ في وجهه ، وقال : أفسدته ! أفسدته ! أمّا إن
التوليد فيه ليّسن .

معنى سبق اليه

وكان^٢ إسحاق يُعجّب بهذا المعنى^٣ ويكرره في شعره ، ويرى أنه
ما سُبِقَ اليه ؛ فمن ذلك قوله :

أيها الطّبيّ الغريرُ ،
هل لنا منك مُجيرُ ؟
إنّ ما نَوَّلَني منك ،
وإنّ قلّ ، كثيرُ

فقلت : إنك قد سُبِقْتَ الى هذا المعنى ، فقال : ما علمتُ أن
أحدًا سُبِقَني اليه ؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عَقِيل :

قِفِي وَدَّعِينَا ، يا مَلِيحُ ، بنظرةٍ ،
فقد حَانَ مِنّا ، يا مَلِيحُ ، رَجِيلُ

١ الحُسرواني : نوع من الثياب منسوب الى خسرو أحد الاكاسرة .

٢ الحديث لعلي بن يحيى .

٣ اي معنى البيتين السابقين .

«أليس قليلاً نظرة» ، إنْ نظرتُها
اليك ، وكَلَاً ليس منكِ قليلٌ

«عَقِيلِيَّةٌ» أمّا مَلَاثُ إزارها
فوعثٌ ، وأمّا خَصَرُها قَضِيلٌ¹

أيا جَنَّةَ الدنيا ويا غَايَةَ المُنَى ،
ويا سُؤْلَ نفسي هل اليك سَبِيلٌ ؟

أراجعةٌ نفسي اليّ ، فأغتدي
مع الرّكَبِ ، لم يُقْتَلْ عليك قتيلٌ

فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ،
ولا كلَّ يومٍ لي اليك رسولٌ

قال : فحلف أنه ما سمع بذلك قطً .

قال عليّ بن يحيى : وصدق ، ما سمع بها .

حوار لطيف

عاتبني² إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء اليه ، فقال لي : مَنْ
جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمع له مع المحبة الخالصة
طاعةً لازمةً .

١ مَلَاثُ الإزار : مداره وهو ما دون الخصر . والوعث : اللين .

٢ الحديث لاسحاق .

فقلت له : جعلني الله فداك ، إذا ثبتت الأصول في القلوب ،
نطقت الألسن بالفروع ، والله يعلم أن قلبي لك شاكر ، ولساني
بالثناء عليك ناثر ، وما يظهر الود المستقيم ، إلا من القلب السليم .
قال : فأبرئ ساحتك عندي بكثرة مجيئك إلي .

فقلت : أجعل مجيئي اليك في الليل والنهار ثوباً أتيقظ لها كتيقظي
للصلوات الخمس ، وأكون بعد ذلك مقصراً .

فضحك وقال : من يقدر على جواب المغنين !

فقلت : من اتخذ الغناء لنفسه ولم يتخذه لغيره .

فضحك أيضاً وأمر لي بخيلع ودنانير وبرذون وخادم .

وبلغ الخبر المعتصم ، فضاعف لآبراهيم ما أعطاني ، فرحت وقد
ربحت وأربحت .

اسحاق وابن الربيع

عُتِبَ عليّ الفضل بن الربيع في شيء بلغه عني ، فكتبت إليه :
« إن لكل ذنب عفواً وعقوبة ، فذنوب الخاصة عندك مستورة مغفورة ،
فأما مثلي من العامة فذنبه لا يُغفر وكسره لا يُجبر ، فإن كنت لا
بدّ معاقبي فأعرض لا يؤدّي إلى مقت . »

١ الحديث لاسحاق .

وكان يختلف اليّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع
 يقرّبه ويستظرف كلامه ، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه
 فمضى اليه ، فقال له الفضل : فيم كنتم ؟
 قال : كنا في قِدْرٍ تَفُور ، وكأس تدور ، وغناء يصُور^١ ، وحديث
 لا يحور^٢ .

ينحل شعره الأعراب

كان^٣ اسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب ، وينشده للأعراب ،
 وكان يُعابي^٤ بذلك أصحابه ويُغرب عليهم به ، فمن ذلك ما
 أنشدنيه لأعرابي^٥ :

لفظَ الحُدُورُ عليك حُوراً عِيناً ،
 أنسين ما جمع الكِناسُ قَطِيناً^٦

فإذا بَسَمَنَ ، فعَنَ كمثل عَمَامَةٍ ،
 أو أَفْجُحُوا الرمل بات مَعِيناً^٦

١ بصور : بصوت .

٢ لا يحور : لا يعاد .

٣ الحديث للحسين بن طالب .

٤ يعابي : يأتي بكلام لا يهتدي له أصحابه .

٥ لفظ : أخرج . القطين : القاطن في المكان أي المقيم فيه .

٦ معين : ريان .

وأصحُّ من رأتِ العيونُ ، محاجرًا ،

ولهنَّ أمراضٌ ، ما رأيت ، عيونًا^١

وكانما تلك الوجوه أهلة

أقمرنَ بينَ العشر والعشرين

وكانهنَّ ، إذا نهضنَ حاجة ،

ينهضنَ بالعقداتِ من يبرينًا^٢

قال : وأنشدني أيضاً مما كان ينسبه الى الأعراب وهو له :

ومكحولة العينين من غير ما كحل ،

مهففة الكشحين ذات شوى خدل^٣

منعمة الأطراف مفعمة البرى ،

روادفها تحكي الدهاس من الرمل^٤

صبود لألباب الرجال ، متى رنت

إلى ذي نهى ، جلد القوى وافر العقل^٥

١ المحاجر ، واحدها محجر : ما دار بالعين . وأراد هنا العيون .

٢ العقدات : ما تراكم من الرمل وتعتقد . يبرين : من اصقاع البحرين ، يشبه أعجازهن بكتبان الرمل لضخامتها .

٣ الكشحين : الحاصرتين . مهففة : دقيقة . الشوى : الاطراف . الخدل : المعتلى الضخم . يريد انها ممثلة الذراعين والساقين .

٤ البرى ، واحدها برة : الحلقة سواراً كانت او خلخالاً او قرطاً . الدهاس : المكان اللين . يصف ذراعها وساعدها بالامتلاء وردفها بالضخامة واللين .

٥ رنت : أدامت النظر . النهى : العقل .

تخلّى النهى عنه ، وحالفه الصبا ،
وأسلمه الرأي الأصيل إلى الجهل

شبيبة^١ كُثبان ، يروقك تحتها
عناقيد كرم ، جادها غدق الوبل^٢

رمتني فحلت نائطي^٣ ، ولم تصب
لها نائطي قلب ، ولا مقتلا ، نبلي^٤

الرشيد يعجب بشعره

حدثني علي بن سليمان الأخفش عن الأصمعي قال :
دخلت أنا وإسحاق الموصلي يوماً على الرشيد فرأيناه لقس^٣ النفس ،
فأنشده إسحاق يقول :

وأمره بالبخل قلت لها اقصري ،
فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى
بخيلاً له ، حتى الممات ، خليل

١ الشبيبة : الشابة ، ولعله اضافها الى الكتبان لضخامة رديها . غدق الوبل : المطر الغزير .
شبه شعرها بالعناقيد الريا ، وفي البيت غموض .
٢ النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن .
٣ اللقس : من لقست نفسه : غتت وخبت .

وإني رأيت البخل يُزري بأهله ،
فأكرمت نفسي أن يُقال بخيل

ومن خير حالات الفتي ، لو علمته ،
إذا نال خيراً ، أن يكون يُنيل

فعالي فعالُ الكثيرين تجملاً ،
ومالي ، كما قد تعلمين ، قليل

وكيف أخاف الفقر ، أو أُحرم الغنى ،
ورأيُ أمير المؤمنين جميل !

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله ؛ ثم قال : لله در
أبيات تأتينا بها ؛ ما أشد أصولها ، وأحسن فصولها ، وأقل فضولها !
وأمر له بخمسين ألف درهم .

فقال له إسحاق : وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري ، أحسن منه ،
فعلام آخذ الجائزة !

فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم .
قال الأصمعي : فعلت يومئذٍ ان إسحاق أحذق بصيد الدراهم مني .

١ ينيل : يعطي .

شعره في حفيد ابن الربيع

كنت^١ عند الفضل بن الربيع يوماً ، فدخل إليه ابن ابنه عبد الله
ابن العباس بن الفضل وهو طفل ، وكان يرقّ عليه لأن أباه مات في
حياته ، فأجلسه في حجره وضمّه إليه ودَمَعَتْ عيناه ؛ فأنشأتُ أقول :

مَدَّ لَكَ اللهُ الحَيَاةَ مَدًّا ،

حَتَّى يَكُونَ ابْنُكَ هَذَا جَدًّا

مَوْزَّرًا بِمَجْدِهِ مُرْدِيً ،

ثُمَّ يُفَدِّي مِثْلَ مَا تُفَدِّي^٢

أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً وَخَدًّا ،

وَشِيَمًا مَرْضِيَّةً ، وَبَجْدًا^٣

كَأَنَّهُ أَنْتَ ، إِذَا تَبَدَّى ،

شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدْ

قال : فتبسّم الفضل وقال : أمتّعني الله بك يا أبا محمد ، فقد
عوّضتُ من الحزن سروراً وتسليّتُ بقولك ، وكذلك يكون
إن شاء الله .

١ الحديث لاسحاق .

٢ مَوْزَّر ومردى : أي ملتف بازار المجد وردائه .

٣ السنة : الوجه لصقالته وملاسته ، أو هي الجهة والجينان .

عيادته لابن الربيع

حدثني عمي عن إسحاق قال :

أتيت الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛
فقلت في مجلسي ذلك :

إذا ما أبو العباس عيّد ولم يعد ،
رأيت معوداً أكرم الناس عائداً

وجاء بنو العباس يبتدرونه ،
مراضاً لما يشكوه مثنى وواحداً^١

يقدّونه ، عند السلام ، وكلّهم
مُجِلّ له يدعوه عمّاً والداً

قال : وكان الفضل مضطجعاً ، فأمر خادماً له فأجلسه ، ثم قال لي :
أعد يا أبا محمد ؛ فأعدت ، فأمرني فكتبتها ، وسرّها ، وجعل يردّها
حتى حفظها .

ليسترضي بشعر

أخبرني يحيى بن عليّ عن إسحاق قال :

١ يبتدرونه : يسرعون اليه .

جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً فاحتبسته ؛ فقال لي : أمرني
الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛ فقلت له :

أقيم يا أبا العوام ، ونحك ، نشرب ،
ونله ، مع اللاهين ، يوماً ، ونطرب

إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيره ،
فخذ به بشكرٍ واترك الفضل يغضب

فأقام عندي وسررنا يوماً ؛ ثم صار إلى الفضل ؛ فسأله عن سبب
تأخره عنه ؛ فحدثه الحديث وأنشده البيتين ، فعضب وحوّل وجهه عني ،
وأمر عوناً حاجبه ألا يدخلني إليه ولا يستأذن لي عليه ولا يوصل لي
رقعة ؛ فقلت :

حرامٌ عليّ الكأسُ ما دمت غضباناً ،
وما لم يعد عني رضاك كما كانا

فأحسِن ، فإني قد أسأت ، ولم تزل
تعوّدي ، عند الاساءة ، إحساناً

قال : وأنشدته إياهما ، فضحك ورضي عني وعاد إلى ما كان عليه .
وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه ، فذكر
مثلته وزاد فيه : فقلت في عون حاجبه :

عونٌ يا عونٌ ليس مثلك عونٌ ،
أنت لي عِدّةٌ إذا كان كونٌ

لك عندي والله ، إن رَضِيَ الفضل ،
غلامٌ يُرضيك ، أو برذونٌ

قال : فأتى عَوْنُ الفضل بالشعرين جميعاً ؛ فقرأهما وضحك وقال :
ويحك ! إنما عرض لك .

قال : قد وعدني ما سمعت ، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم !
فأمره أن يُرسل إليّ ؛ فأتاني رسوله فصرتُ إليه فرضي عني .

حدثني الزبير بن دحمان قال :

دخلت يوماً على الفضل بن الربيع مسلماً ؛ فقال لي : قد عزمْتُ
غداً على الصَّبوح ، فصِرْ إليّ بُكرةً ؛ فكنْتُ أنا والصبحُ كقرسي
رهان ؛ فلما أصبحتُ في غدٍ جعلتُ طريقِي على إسحاق بن إبراهيم
فدخلتُ إليه ، فلما جلستُ قال لي : أقيم اليوم عندي .

فعرَّفته خبري .

فقال :

أقيم يا أبا العوَّام ، ويحك ، شرب ،
ونلَّه ، مع اللاهين يوماً ، ونطرب

إذا ما رأيتَ اليومَ قد جاء خيره ،
فخذْه بشكر ، واتركِ الفضل يغضب

١ الحديث لابي محمد أحمد المكي

فقلت : إني لا آمنُ غضبه ، وأنا بين يديك .
 فقال لي : أنت تعلم أن صَبوح الفضل أبداً في وقت غَبوق الناس ،
 فأقيمُ وارفقُ بنفسك ثم امضِ إليه .
 فأجبتُه الى ذلك ؛ فلما شربنا طاب لي الموضع ، فأقيمتُ حتى
 سكرتُ . وذكر باقي الخبر نحواً مما ذكر إسحاق . انتهى .

يسقط المغنين

حدثني^١ محمد بن المكِّي المُرَجِيل قال : قلت لزُرْزُورِ الكبير :
 كيف كان إسحاق يَنفُقُ على الخلفاء^٢ معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهديّ
 ومُخارقُ أطيّبُ أصواتاً وأحسنُ نَغَمَةً ؟

قال : كنّا والله يا بُني نحضّرُ معه فنجتهد في الغناء ونقيم الوَهَجَ^٣
 فيه ويُقبل علينا الخلفاءُ ، حتى نطمعَ فيه ونظن أننا قد غلبناه ، فإذا
 غنى عَمِلَ في غنائه أشياء من مُداراته^٤ وحِدَقَه وإطْفَه حتى يُسقطنا
 كلَّنا ويُقبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويحيِزه دوننا ويُصغي إليه ، ونرى
 أنفسنا اضطراراً دونه .

١ الحديث للحظّة .

٢ ينفق على الخلفاء : يروج عندهم .

٣ نقيم الوهج : نحتد في الغناء .

٤ مداراته : احتياله في تأدية الانعام .

تخنيته في الغناء

حدثنا جَحْظَةُ قال حدثني محمد بن أحمد المكِّي قال حدثني أبي قال :
كان المغنُّون يجتمعون مع إسحاق وكلَّهم أحسن صوتاً منه ، ولم
يكن فيه عيبٌ الا صوته فيطمعون فيه ؛ فلا يزال بلطفه وحذقه
ومعرفته حتى يغلبهم ويبدِّهم جميعاً ويفضلهم ويتقدّمهم .
وهو أولُ من أحدث التخنيث^١ ليوافق صوته ويشاكله ، فجاء
معه عجباً من العَجَب ؛ وكان في حلِّقه نبوءة عن الوتر .
أخبرني يحيى بن عليّ : أن إسحاق أول من جاء بالتخنيث في الغناء
ولم يكن يُعرف ، وإنما احتال بحذقه لمُنافرة حلقه الوتر ، حتى صار
يجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسن له في السمع .

المغنون في غيابه

كان المغنُّون إذا حضروا وليس إسحاق معهم غنّوا هُوَيْنِي وهم
غير مفكرين ؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن الا الجدة .

غضب المامون عليه

غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم ، ثم كلَّم فيه فرضي عنه
ودعاه به ؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرض بين يديه واستقاله^٢ ؛

١ التخنيث ، من خث الشيء : عطفه ، ولواه .

٢ استقاله : طلب منه ان يقيله .

فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً ، ثم قال له في أثناء كلامه :

فلا أنتَ أعتبتَ من زلتَ ،
ولا أنتَ بالغتَ في المَعذرةِ

ولا أنتَ وليتني أمرها ،
فأغفرَ ذنبك عن مَقدرةِ

هكذا في الخبر ؛ وأظنه إسحاق بن إبراهيم الطاهري لا الموصلي .

أبو الأشعث يعجب به

حدثني^١ إسحاقُ قال :

أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيَّ شعراً لي ، فقال : والذي أصوم له
مخافته ورجاءه ، انك لمن طرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو
كان شابٌ يُشتري لاشتريته لك ولو بإحدى يدي ، وإن في كبرك
لما زان المجلسَ وسره .

إسحاق وزهراء الكلابية

قالت لي^٢ زهراء الكلابية : ما فعل عبدُ الله بن خُرداذبة ؟
فقلت : مات .

١ الحديث للحسين بن أبي طالب .

٢ الحديث لإسحاق .

فَقَالَتْ : غَيْرَ ذَمِيمٍ وَلَا لَئِيمٍ ، غَفَرَ اللَّهُ لَصَدَاهُ^١ ، لَقَدْ كَانَ يُحِبُّكَ
وَيُعْجِبُهُ مَا سَرَّكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ لَزَهْرَاءَ : حَدِّثْنِي عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

أَحِبُّكَ أَنْ أُخْبِرْتُ أَنَّكَ فَارِكٌ
لَزَوْجِكَ ، إِنْ مَوْلَعٌ بِالْفَوَارِكِ^٢

مَا أَعْجَبَهُ مِنْ بَغْضِهَا لَزَوْجِهَا ؟

فَقَالَتْ : عَرَفْتَهُ أَنَّ فِي نَفْسِهَا فَضْلَةً مِنْ جَمَالٍ وَشَمَخًا بِأَنْفِهَا
وَأُبْهَةً ، فَأَعْجَبَتْهُ .

يَطْرِبُ الْمَعْتَصِمَ

أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ :

أَنَّ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيَّ دَخَلَ عَلَى الْمَعْتَصِمِ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَرَأَاهُ لَقِيَ
النَّفْسَ ، فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَيِّبَ هَذَا الْيَوْمِ وَحُسْنَهُ !
فَقَالَ الْمَعْتَصِمُ : مَا يَدْعُونِي حُسْنُهُ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا تَرِيدُ وَلَا أَنْشِطُ لَهُ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ يَوْمٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ ؛ فَاشْرَبْ حَتَّى
أَنْشِطُكَ .

١ الصدى : جسد الانسان بعد موته .

٢ الفارك من النساء : التي تبغض زوجها .

قال : أو تفعل ؟

قال : نعم .

قال : يا غلمان ، قدّموا الطعامَ والشرابَ ومُدُّوا الستارةَ ،
وأحضروا الندماءَ والمغتنين .

فأتى بالطعام فأكل وبالشراب فشرب وحضر الندماءُ والمغتنون ؛
فغناه إسحاق :

سَقَيْتَ الْغَيْثَ يَا قَصْرَ السَّلَامِ ،
فَنِعْمَ مَحَلَّةُ الْمَلِكِ الْهُمَامِ .
لَقَدْ نَشَرَ الْإِلَهَ عَلَيْكَ نُورًا ،
وَنَخَصَّكَ بِالسَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ

الشعرُ والغناءُ لابراهيم الموصلي .

فطرب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً ، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلا
وصّله وخلّعه عليه وحملته ؛ وفضّل إسحاق في ذلك أجمع .

اول جائزة من الرشيد

أخبرني الحسن بن عليّ عن إسحاق قال :

أول جائزة أخذتها من الرشيد ألف دينار في أول يوم دخلتُ
إليه فغنّيته :

عَلِقَ الْقَلْبُ بِزَوْعَا

١ زوع : من أسماء النساء .

فاستحسنه واستعادته ثلاث مرّات وشرب عليه ثلاثة أرطالٍ وأمر لي
بألف دينار ؛ فكان أول جائزة أجازنيها .

ساق قبيح الوجه

كان^١ أبي ذات يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فلما جالسوا
للشراب جعل الغلمانُ يَسْقُونَ مَنْ حَضَرَ ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه
إلى أبي بقدحٍ نبيدٍ فلم يأخذه ؛ وراه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب؟
فكتب إليه أبي :

إصْبَحْ نَدِيمَكَ أَقْداحاً يُسْكِنُهَا
مِنَ الشَّمُولِ ، وَاتَّبِعْهَا بِأَقْداحٍ^٢

مِنَ كَفِّ رِيْمٍ مَلِيحِ الدَّلِّ ، رِيْقَتُهُ ،
بَعْدَ الْهَجُوعِ ، كَمِسْكَ أَوْ كَمُفْحَاحٍ

لَا أَشْرَبُ الرِّاحِ إِلَّا مِنْ يَدَيْ رَشَا ،
تَقْيِيلُ رَاحَتِهِ أَشْهَى مِنَ الرِّاحِ

فضحك وقال : صدقت والله ؛ ثم دعا بوصيفةٍ كأنها صورةٌ ، تامّةٌ

١ الحديث لحماذ بن إسحاق .

٢ الشمول : الحمر .

الحسن لطيفة الحضر في زي غلام، عليها أقبية^١ ومنطقة^٢ ، فقال لها :
تولّي سقي أبي محمد .

فما زالت تسقيه حتى سكر ؛ ثم أمر بتوجيهها وكل ما لها في
داره اليه ، فحُمِلت معه .

زهراء الكلاية تناشده

كانت^٢ امرأة من بني كلاب يقال لها زهراء تحدّث إسحاق
وتناشده ، وكانت تميل اليه ، وتكُنّي عنه في عشيرتها ، إذا
ذكرته ، بجُمْل .

قال : فحدّثني إسحاق أنها كتبت اليه ، وقد غابت عنه ، تقول :

وجدي بجُمْل ، على أني أجمجمه ،

وجد السقيم ببراء بعد إدناف^٣

أو وجد تُكَلّي أصاب الموت واحدها ،

أو وجد مغتوب من بين ألّاف

قال : فأجبتُها :

١ الاقبية : شبه « الغنايز » .

٢ الحديث لملي بن الصباح .

٣ أجمجمه : أكنمه وأخفيه .

أَقْرَ السَّلامَ على الزَّهراءِ، إِذْ شَحَطَتْ،
 وَقُلْ لَهَا قَدْ أَذَقْتَ القَلْبَ ما خَافَا
 أَمَّا رَثِيْتُ لِمَنْ خَلَّفْتَ مَكْتَباً،
 يُذَرِّي مَدَامَعَهُ سَحّاً وَتَوَكَّافاً
 فَمَا وَجَدْتُ، على إلفٍ أَفَارِقُهُ،
 وَجَدِي عَلَيْكَ، وَقَدْ فَارَقْتُ أَلاَّ فَا

يَكْتُمُ قِصَّةَ إِشارِ إِلَيْهَا

أَنشَدَنِي^٢ إِسْحاقُ لِنَفْسِهِ :

سَقَى اللهُ يَوْمَ المَآوِشَانِ وَمَجْلِساً،
 بِهِ كانَ أَحلى عَندنا مِنْ جَنَى النَّجْلِ^٣
 عَدَاةَ اجْتَنِينا اللِّهْوَ غَضّاً، وَلَمْ نُبَلْ^٤
 حِجَابَ أَبِي نَصْرٍ، وَلَا غَضَبَةَ الفَضْلِ^٤
 غَدَوْنَا صِياحاً، ثُمَّ رَحْنَا كَأَنَّنا
 أَطافَ بِنِساءٍ شَرٍّ شَدِيدَةٍ مِنَ الحَبْلِ

١ التوكاف : مصدر وكف الدمع : قطر قليلاً قليلاً .

٢ الحديث لمحمد بن مالك .

٣ المآوشان : موضع نزه في سفح جبل أروند من همدان .

٤ لم نبَل : لم نبال .

فسأله أن يكتبها ففعل ؛ فقلت له : ما حديث الماوشان ؟ فضحك
وقال : لو لم أكتبك الأبيات لما سألت عما لا يعنينا ؛ ولم يخبرني .

ابن الاعرابي يعجب به

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن الأعرابي :
أنه كان يصف إسحاق الموصليّ ويقرّظه ويُسّني عليه ويذكر أدبه
وحفظه وعلمه وصدقته ، ويستحسن قوله :

هل الى أن تنام عيني سبيل ؟
إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويل !

غاب عني من لا أَسْمِي ، فعيني ،
كلّ يوم ، وجدّاً عليه تَسِيلُ

قال : وكان إسحاقُ إذا غشاه تَفِيضُ دموعه على خيته ويبكي
أحرّاً بكاءً .

الاول والآخر

أخبرني الصُّوليّ عن حمّاد بن إسحاق قال :
أوّلُ صوت صنعه أبي :

إني لأَكْنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبِلِهَا ،
وباسم أوْدِيَةٍ عَنْ اسم وادِيهَا

وآخر صوت صنعه مختاراً :

قِفْ نُحَيِّ الْمَغَانِيَا ،
وَالطُّلُولَ الْبَوَالِيَا

ثم قطع الصنعة حتى أمره الواصل بأن يعارض صنعه في :

لقد بَخِلْتُ حتى لَوَ اِنِّي سَأَلْتُهَا

يتهم بالانتحال

قال حماد : وحدّثني أبي قال :

كان المغنون يحسدوني مُذْ كُنْتُ غَلاماً ، فلمّا مات أبي صنعتُ
هذا الصوت ، فهو أوّل صوت صنعه بعد وفاته ، وهو :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا
بِذِي حُرُضٍ مَائِلَاتٍ مُثُولَا

فقالوا للرّشيد : هذا من صنعة أبيه فقد انتحله .

فقال لي الرّشيد في ذلك ؛ فقلت : هذا ومائة بعده خيراً منه لهم .

فقال : اصنع في شعر الأخطل :

أَعَاذِلْتِي الْيَوْمَ ، وَيُحَكِّمَا ، مَهْلَا ،
وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي ، وَلَا تُكْثِرَا الْعَذْلَا

فصنعتُ فيه كما أمرني ؛ فلمّا سمعُوا بذلك وما جاء بعده أذعنوا ،
وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بي .

وقد ذكر غيرُ حمّاد أنّ اللحن الذي اختبره به الرشيدُ قوله :

كنت صَبّاً ، وقلبي اليومَ سالٍ ،
عن حبيبٍ يُسيءُ في كلِّ حالٍ

وذكر أنّ الفضل بن الربيع قال الشعرَ في ذلك الوقت ودفعه إليه
وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل .

وأخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّوليّ عن حمّاد بن إسحاق قال :
أوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبي :

ألم تسألُ فتُخبرَكَ المغاني ،
وكيف ؟ وهنَّ منذُ حِجَجٍ ثنائي¹

برئتُ من المنازل ، غيرَ شوقٍ
إلى الدار التي يَلَوِي أبان

ديارُ للتي لَجَلَجْتُ فيها ،
ولو أعَرَبْتُ لَجَّ بها لساني²

فكادَ يَظَلُّ للعَيْنين غَرَبُ
برَبْعَي دِمْنَةٍ لا ينطِقان

١ يريد : وكيف يُخبرُكَ وهن منذُ ثنائي سنين خاليات ؟ وفي الكلام إيجاز حذف واكتفاء .

٢ لجلجت : ترددت في الكلام .

قال : فحدثني أبي أن المغنين قالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه
انتحله بعد وفاته ؛ فقلت له : أنا أدعُ لهم هذا ومائة صوتٍ بعده ؛
ثم نظروا الى ما جاء بعد ذلك فأذعنوا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

قِفْ نَحْيِي الْمَغَانِيَا ،
وَالطُّلُولَ الْبَوَالِيَا

وعلى أهلها فنح ،
وابكٍ إن كنتَ باكيا

الشعر لابن ياسين .

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الطُّلُولَا
بِذِي حُرُضٍ ، مَائِلَاتٍ مُثُولَا

بَلَيْنَ ، وَتَحَسَّبُ آبَاتِهِنَّ ،
عَنْ قَرُطِ حَوْلِينَ ، رَقًّا مُحِيلَا

الشعر لكعب بن زهير .

أَعَاذِلْتِي الْيَوْمَ ، وَيَحْكَمَا ، مَهْلَا ،
وَكُفَّا الْأَذَى عَنِّي ، وَلَا تَكْثُرَا الْعَذْلَا

١ تقدم شرح هذه الايات في الصفحة ٣٧ .

دعاني تَجُدْ كَفِّي بِمَالِي، فَإِنِّي
سَأَصْبِحُ لَا أَسْطِيعُ جُوداً وَلَا بُخْلاً

إِذَا وَضَعُوا فَوْقَ الصَّفِيحِ جُنَادَلاً
عَلَيَّ، وَخَلَّفْتُ الْمَطِيَّةَ وَالرَّحْلاً

فَلَا أَنَا مَجْتَازٌ، إِذَا مَا نَزَلْتُهُ،
وَلَا أَنَا لَاقٍ، مَا ثَوَيْتُ بِهِ، أَهْلاً

الشعر للأخطل .

إِنِّي لَا كُنِّي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبُلِهَا،
وَبِاسْمِ أَوْدِيَةٍ عَنْ اسْمِ وَادِيهَا

عَمْداً لِيَحْسَبَهَا الْوَاشُونَ غَانِيَةً
أُخْرَى، وَتَحْسَبَ أَنِّي لَا أَبَالِيهَا

وَلَا يُغَيِّرُ وَدِّي أَنْ أَهَاجِرَهَا،
وَلَا فِرَاقُ نَوَى فِي الدَّارِ أَنْوِيهَا

وَلِلْقُلُوصِ وَلِي مِنْهَا، إِذَا بَعُدَتْ،
بِوَارِحِ الشُّوقِ تُنْضِيَنِي وَأُنْضِيهَا^٢

الشعر لأعرابي .

١ الصفيح : حجارة رقيقة عريضة يسقف بها القبر الجنادل : الحجارة .

٢ تنضيبي وأنضيها : تبليني وأبليها .

حديثه بشأن الاهزاج

قال إسحاق للوائق يوماً : الأهزاج من أُمْلَحِ الغناء ؛ فقال اللوائق :
أما إذا كانت مثل صوتك :

إني لأكني بأجبالٍ عَنْ أجبالها ،
وباسم أوديةٍ عَنْ اسم وادئها
فهي كذلك .

غناؤه ابن طاهر

قال إسحاق : بعث إليّ طَلْحَةَ بن طاهر وقد انصرف من وقعة
للشُّرَاة^١ وقد أصابته ضربة في وجهه ؛ فقال لي الغلام : أجيب .

فقلت : وما يعمل ؟

قال : يشرب .

فمضيت إليه فاذا هو جالسٌ قد عصب ضربته وتَقَلَّسَ
بِقَلَنْسُوءٍ ؛ فقلت له : سبحان الله أيها الأمير ! ما حملك على لبس هذا ؟
قال : التبرُّم بغيره ؛ ثم قال : غنّ :

إني لأكني بأجبالٍ عَنْ أجبالها

١ الشُّرَاة : الخوارج .

قال : فغثيته إياه ، فقال : أحسنت والله ! أعد !
فأعدت وهو يشرب حتى صلتى العتمة وأنا أغثيه ؛ فأقبل على
خادم له بالحضرة وقال له : كم عندك ؟
قال : مقدار سبعين ألف درهم .
قال : تحمّل معه .

فلما خرجت من عنده تبعني جماعة من العِلّمان يسألونني ،
فوزعت المال بينهم ؛ فرُفع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجه إليّ ثلاثاً ؛
فجلست ليلاً وتناولت الدّواة والقِرطاس فقلت :

علّمني جودك السّماح ، فما
أبقيت شيئاً لديّ من صلتك

لم أبق شيئاً ، إلّا سمحت به ،
كأنّ لي قدراً كمقدّرتك

تتلف في اليوم ، بالهبات ، وفي السّاعة
ما تجتنيه في سنّتك

فلست أدري من أين تُنفق ، لولا
أنّ ربّي يجزي على صلتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصرت إليه ودخلت عليه

فَسَلِّمْتُ ؛ فَرَفَعَ بَصْرَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : اسْقُوهُ رَطْلًا ؛ فَسُقَيْتُهُ ، وَأَمَرَ لِي
بِآخَرَ وَآخَرَ فَشَرِبْتُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ لِي : غَنِّ :

إِنِّي لَا كُنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْلِهَا

فَغَنَيْتُهُ ثُمَّ أَتْبَعْتُهُ بِالْأَبْيَاتِ الَّتِي قَلَّتْهَا ، وَقَدْ كُنْتُ غَنَيْتُ فِيهَا
لَحْنًا فِي طَرِيقَةِ الصَّوْتِ .

فَقَالَ : اذْنُ ؛ فَدَنَوْتُ ، وَقَالَ : اجْلِسْ ؛ فَجَلَسْتُ ، فَاسْتَعَادَ الصَّوْتَ
الَّذِي صَنَعْتُهُ فَأَعَدَّتْهُ . فَلَمَّا فَهِمَهُ وَعَرَفَ مَعْنَى الشَّعْرِ قَالَ لِحَادِمٍ لَهُ :
أَحْضِرْنِي فَلَانًا ؛ فَأَحْضَرَهُ ، فَقَالَ : كَمْ قَبْلَكَ مِنْ مَالِ الضِّيَاعِ ؟
قَالَ : ثَمَانُمِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ .

فَقَالَ : احْضُرْ بِهَا السَّاعَةَ .
فَجِئْتُ بِثَانَيْنِ بَدْرَةٍ .

فَقَالَ لِلْحَادِمِ : جِئْنِي بِثَانَيْنِ غَلَامًا مَمْلُوكًا ؛ فَأَحْضِرُوا ، فَقَالَ :
احْمِلُوا هَذَا الْمَالَ .

ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، خُذِ الْمَالَ وَالْمَمَالِيكَ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ أَنْ تُعْطِيَ
لِأَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا .

مَهَا جَاتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ
طَالِبٍ قَالَ :

كان إسحاق بن إبراهيم الموصلي كثير الغشيان لإسحاق بن إبراهيم
ابن مُصْعَب والحضور لسمّره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له
ويُسني جوائزَه ويُواتِرُ صلاتِه ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه ؛
فأصيب إسحاق ببصره قبل موته بسنتين ، فتروك زيارة إسحاق وغيره
من كان يغشاهم ولزم بيته .

وخرج إسحاق يوماً إلى بستان له بباب قَطْرَبُل وخرج معه ندماءه
وفيههم موسى بن صالح بن شَيْخ بن عَمِيْرَة ومحمد بن راشد الخثاق
والحرّاني ؛ فجرى ذكرُ إسحاق الموصلي ، فتوجع له إسحاق وذكر
أنسه به وتمنى حضوره ، وذكره القوم فأطنبوا في نشر محاسنه وشيّعوا
ما ذكره به إسحاق بما حسن موقعه لهم عنده ؛ وذكره محمد بن راشد
ذكراً لم يحمد أصحابه عليه ، وزجره إسحاق ، فأمسك عنه .

فلما انصرفوا من مجلسهم نمي إلى إسحاق الموصلي ما كان فيه القوم
في يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح :

ألا قُلْ لموسى الخير موسى بن صالح ،
ومن هو دون الخلق إلفي وخلّصاني^٢

ومن لو سألت الناس عنه لأجمعوا
على أنه أفتى مَعَدَّةً وقَحْطَانِ^٣

١ يواتر : يتابع .

٢ الخلصان : الخالص من الأصدقاء .

٣ أفتى : أفل تفضيل من الفتوة وهي الكرم والمروءة .

لَعَمْرِي ، لئن كان الأميرُ تمتّاني
بمجلسِ لذاتٍ ونزّهةِ بُستان
لقد زادني ما كان منه صبايةً ،
وجدّد لي شوقاً إليه وأبكاني
وما زال يمتنّ عليّ بخُصني
بما لستُ أحصي من أياذٍ وإحسان
هو السيّد القَرَم الذي ما يرى له
من الناسِ ، إن حصلته ، أبداً ثاني
نمّته رَوائي مُصعّب ، وبني له
كريمُ المساعي ، في أرؤمته ، باني
يعزّزُ عليّ أن تفوزوا بقُربه ،
ولستُ إليه بالقريب ولا الدّاني
فيا ليتَ شغري هل أروحنَ مرّةً
إليه ، فيلقاني كما كان يلقاني
وهل أرينَ يوماً غَضارةً مُلكه ،
وسلطانه ، لا زال في عزٍّ سلطان
وهل أسمعَنُ ذاكَ المُزاح ، الذي به ،
إذا جئتُه ، سلّيتُ همتي وأحزاني

إذا قال لي « يا مَرْدَمِي خَر » وكرّها
عليّ ، وكتّاني ، مُزاحاً ، بصفوان

هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل اشرب النبيذ .

فيا لك من مَلَهَى أنيقٍ ، ومجلسٍ
كريمٍ ، ومن مَزَحٍ كثيرٍ بألوانٍ

وهل يَغْمِزَنُ بي ذواهُناتِ ابنِ راشدٍ ،
وذاك الكريمُ الجَدُّ من آلِ حَرَّانِ

وهل أَرَيْنَ موسى الكريمِ ، ابنَ صالحٍ ،
يُنَازِعُنِي صوتاً ، إذا هو غَنّاني

يريد الغناء في :

فلم أَرَ كالتَّجْمِيرِ ، مَنْظَرَ ناظِرٍ ،
ولا كلبالي النَّفْرِ أَفْتَنَ ذا هوى^١

إذا صاح بالتَّجْمِيرِ ، ثم أعاده ،
بتحقيقٍ إعرابٍ صحيحٍ وتبيانٍ

أولئك إخواني الذين أحبّهم ،
وأوثرهم بالودِّ من بين إخواني

١ التجمير : رمي الجمار . النفّر : نفور الحجاج الى مكة . وكلا الامرين من مناسك الحج .

وما منهم إلا كريم مهذب ،
حيب إلى إخوانه ، غير أخوان

فأجابه محمد بن راشد :

بعثت بشعر فيه : أن رسالة
أتتك لموسى عن جماعة إخوان

بشوق وذكر للجميل ، ولم يكن
لموسى ، لعمري ، في سلامته ثاني

ولكن نطقنا بالذي أنت أهله ،
وما تستحق من صديقٍ وندمانٍ

وموسى كريم لم يخط بك خبره ،
كخبر ندامى قد بلوك وإخوان

ولو قد بلاك قال فيك كقول من
فسدت عليه من خليل وخلصان

ولم يعره شوق إليك ولم يجد
لفقدك مساً عند نزهة بستان

حمدت الندامى كلهم غير إنسان ،
ألا إنما يجني على نفسه الجاني

فلا تَعْتَبِ الْإِخْوَانَ ، من بعدها ، فما
تَنْقُصُ إِخْوَانَ الْمَوَدَّةِ مِنْ شَانِي

قال : فأجابه إسحاق :

عجبتُ لمُخْذُولٍ تَعْرِضُ ، جانِباً ،
لِلَيْثِ أَبِي شَبْلِينَ مِنْ أَسَدٍ خَفَّانٍ^١

أَتَانَا بِشَعْرٍ ، قاله ، مثل وجهه ،
تَزَخَّرَفَ فِيهِ وَاسْتَعَانَ بِأَعْوَانٍ

فجاء بالفاظٍ ضَعْفٍ ، سَخِيفَةٍ ،
وَمَضْغَةٍ تَمْضِغٍ أَهْوَجَ سَكَرَانٍ

دَعُونا الشَّعْرَ لِلشَّيْخِ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ ،
وَالْأَوْسَمَ ، أَوْ رُمَيْتَ بِشُهْبَانٍ^٢

فإنكم والشعر ، إذ تدعون ،
كمُتَعَسِّفٍ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ حَيْرَانٍ

صه ! لا تَعُودُوا لِلْجَوَابِ ، فإنما
تَروُمُونَ صَعْباً مِنْ شَمَارِيخِ ثَهْلَانٍ^٣

١ خفان : مأسدة قرب الكو .

٢ وسَمَ : من وسمه اذا ترك فيه اثرأ بالكى . والمراد تركت عليكم آثار الخذلان . شهبان ،
واحدها شهاب : الكوكب المنقض . والمراد او ترجمون بالشهب كما ترجم الشياطين ،
الذين كانوا يحاولون استراق السمع من الملائكة .

٣ الشماريخ : رؤوس الجبال وأعاليها . ثهلان : جبل باليمن .

أنا الأسد الورد ، الذي لا يفلته
 تظاهروا أعداء ، عليه ، وأقران
 ومن قد أردتم جاهدين سقاطه ،
 فأعياكم في كل سر وإعلان
 لعمري ، لئن قلت بما أنا أهله ،
 ليستنفدن القول تعظيمكم شاني
 وجحدكم إيتاي ما تعلمونه ،
 وإقراركم عندي بذلك سيان
 ألا يزجر الجهال عتاً أميرنا ،
 وموسى وذاك الشيخ من آل حران
 ولا سيما من بان للناس شره ،
 فما يتماهى في مذاهبه اثنان

الثناء عليه

قال لي^٢ محمد بن عمر الجرجاني ، وقد تذاكرنا إسحاق يوماً بحضرته :
 ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفه . كان والله إسحاق غرة

١ الورد : الجري .

٢ الحديث لمعقوب بن إسرائيل فرقارة .

في زمانه، وواحداً في دهره علماً وفقهاً وأدباً ووقاراً ووفاءً وجودةً
 رأي وصحة مودة . كان والله يُخرِس الناطقَ إذا نطق، ويُحَيِّر
 السامعَ إذا تحدّث، لا يَمَلُّ جليسهُ بجليسه، ولا تَمُجُّ الأذانُ حديثه،
 ولا تنبو النفوسُ عن مطاولته . إن حدثك أهلك، وإن ناظرك أفادك،
 وإن غناك أطربك . وما كنتَ ترى خصلة من الأدب ولا جنساً من
 العلم يتكلم فيه إسحاقُ فيُقدِّم أحداً على مُساجلتِه ومباراته .

يغني المأمون

أمر المأمون يوماً بالفَرَش الصَّيفي أن يُخرَج ؛ فأخرج فيما أخرج
 منه بساطاً طَبْرِي^١ أو أَصْبَهْذَانِي^١، مكتوب في حواشيه :

لَجَّ بالعين واكِفُ،

من هَوَى لا يُسَاعِفُ

كلِّما جَفَّ دمعُه،

هيَّجَتْهُ المعازِفُ

إنما الموتُ أن تَفَا

رَقَ مَنْ أَنْتَ آلفُ

١ أصبهذان : مدينة في بلاد الديلم .

لَكَ حُبَّانٌ فِي الْفَوَادِ
تَلِيدٌ وَطَارِفٌ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث الى إسحاق فأحضره
وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّل به ؛ فصنع فيها الهزج الذي يُغَنَّى
به اليوم . قال أحمد : وسمعا أبي منه فقال : لو كان هذا الهزج
لحكهم الوادي لكان قد أحسن . يريد أن حكماً كان صاحب الأهازج .

مدحه عند الواثق

تذاكرنا يوماً عند أبي صنعة إسحاق ، وقد كنا بالأمس عند
المأمون فغناه إسحاق لحناً صنعه في شعر ابن ياسين :

الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ

فَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ

أَوْحَشَتْ بَعِيدَ أَهْلِهَا ،

فَهِىَ قَفَرٌ بَسَابِسُ^٢

قال : فقال أبي : لو لم يكن من بدائع إسحاق غير هذا الكفى ،
« الطلول الدوارس » كلمتان ، و« فارقتها الأوانس » كلمتان ؛ وقد

١ الحديث لابن المكي .

٢ البسابس ، واحدها بسبس : القفر .

عَتَى فِيهِمَا اسْتِهْلَالًا وَبَسِيطًا وَصَاحَ وَسَجَّحَ وَرَجَّعَ النِّعْمَةَ وَاسْتَوْفَى
ذَلِكَ كُلَّهُ فِي أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَأَتَى بِالْبَاقِي مِثْلَهُ ؛ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْعَلْ مِثْلَ
هَذَا أَوْ لِيُقَارِبِهِ .

ثُمَّ قَالَ : إِسْحَاقُ وَاللَّهِ فِي زَمَانِنَا فَوْقَ ابْنِ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضِ
وَمَعْبُدٍ ، وَلَوْ عَاشُوا حَتَّى يَرَوْهُ لَعَرَفُوا فَضْلَهُ وَاعْتَرَفُوا لَهُ بِهِ .
وَأَخْبَرَنِي عَمِّي عَنْ يَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ : أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ الْوَائِقِ
فَغَنَّتْهُ شَجَا هَذَا الصَّوْتِ ؛ فَقَالَ الْوَائِقُ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ . وَالْمَذْكُورُ
أَنَّ ابْنَ الْمَكِيِّ قَالَهُ ؛ فَلَا أَدْرِي أَهَذَا وَهُمْ مِنْ يَزِيدٍ ، أَوْ اتَّفَقَ أَنْ
قَالَ فِيهِ الْوَائِقُ كَمَا قَالَ يَحْيَى ، أَوْ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ فَرِيحَتَاهُمَا .

يَعْجَبُ بَغْنَاءُ خُبَاز

أَرْسَلَ ١ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ يَوْمًا وَالِى الزُّبَيْرِ بْنِ دَحْمَانَ ، فَوَافَقَ
مَجِئُنَا شُغْلًا كَانَ لَهُ ، فَصَرْنَا إِلَى بَعْضِ حُجَرِهِ ، فَتَعَسَّتْ فَنِمْتُ فَإِذَا
الزُّبَيْرُ يَحْرُكُنِي فَانْتَبَهْتُ فَإِذَا خُبَّازٌ فِي مَطْبَخِ الْفَضْلِ يَضْرِبُ
بِالشُّوْبُقِ ٢ يُغْنِّي :

بَدِيرِ الْقَائِمِ الْأَقْصَى
غَزَالُ شَقْنِي ، أَحْوَى ٣

١ الحديث لاسحاق .

٢ الشوبق : خشبة الخباز (الشوبك) .

٣ دير القائم الأقصى : موضع على شاطئ الفرات .

بَرَى حَبِّي لَهُ جَسْمِي ،
وَمَا يَدْرِي بِمَا أَلْقَى

وَأَخْفِي حَبَّهُ جُهْنْدِي ،
وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى

الشعر والغناء لإسحاق .

قال : فقال لي الزُّبَيْر : تَضَنَّ بهذا وانظر من يبتذله !
فقلت : لا أَضَنَّ بغناء بعد هذا .

يستحسن اصواته من غيره

كثراً أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين ،
فيهم إسحاق وعكويه ومُخَارِق وعمر بن بانة ؛ فغنى مَخَارِق في
الثقل الأول :

أَعَاذِلْ ! لَا آلُوكِ ، إِلَّا خَلِيقِي ،
فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكَ مَبْرَدَا

ذَرِينِي أَكُنْ لِلْمَالِ رَبّاً ، وَلَا يَكُنْ
لِي الْمَالُ رَبّاً ، تَحْمَدِي غِبَّهُ غَدَا

١ الحديث لصالح بن الرشيد .

ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي وَقَايَةً ،
يَقِي الْمَالَ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي ، إِذَا الضَيْفُ نَابَنِي
وَعَزَّ الْقَرَى ، أَقْرِي السَّدِيفَ الْمُسْرَهْدَا^١ ؟

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : لِمَنْ هَذَا اللَّحْنُ ؟

قَالَ : لِهَذَا الْمَرْبُورِ الْجَالِسِ ، يَعْنِي إِسْحَاقَ .

فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِمُخَارِقَ : قُمْ فَاقْعُدْ بَيْنَ يَدَيَّ وَأَعِدِ الصَّوْتَ .

فَقَامَ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَعَادَهُ فَأَجَادَهُ ، وَشَرَبَ الْمَأْمُونُ عَلَيْهِ رَطْلًا ؛

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى إِسْحَاقَ فَقَالَ لَهُ : غَنِّ هَذَا الصَّوْتَ .

فَغَنَّاهُ فَلَمْ يَسْتَحْسِنْهُ كَمَا اسْتَحْسِنَهُ مِنْ مُخَارِقَ ؛ ثُمَّ دَارَ الدَّوْرُ إِلَى

عَلَّوِيهِ ، فَقَالَ لَهُ : غَنِّ .

فَغَنَّنِي أَيْضًا :

أُرَيْتُ الْيَوْمَ نَارَكَ لَمْ أَعْمَضْ
بِوَاقِصَةٍ ، وَمَشَرَبْنَا بَرُودًا^٢

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ مَوْقِدِهَا ، وَلَكِنْ
لَأَيَّةِ نَظَرَةٍ زَهَرَ الْوَقُودُ^٣

١ السديف : السنام أو شحمه . المسرهد : المقطع أو الثمين .

٢ واقصة : منزل بطريق مكة . البرود : البارد .

٣ زهر الوقود : أضاءت ناره .

فِيَتْ بَلِيلَةً ، لَا نَوْمَ فِيهَا ،
أَكَابِدُهَا وَأَصْحَابِي رُقُود

كَأَنَّ نَجْمَهَا رُبِطَتْ بِصَخْرٍ
وَأَمْرَاسٍ تَدُورُ وَتَسْتَزِيدُ^١

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت ؟

فقال : لهذا الجالس ، وأشار الى إسحاق .

فقال لعلّويه : أعيدْه ؛ فأعاده ، فشرب عليه رطلاً ؛ ثم قال لإسحاق :
عَنْتَهُ ؛ فغنتاه ، فلم يطرَبْ له طَرَبَهُ لعلّويه . فالتفت إليّ إسحاق ثم
قال لي : أيها الأمير ، لولا أنه مجلسُ سرور وليس مجلسُ لَجَاجٍ
وجِدالٍ لأعلمته أنه طرب على خطإٍ ، وأنّ الذي استحسّنه إنما هو
تَزَايِدٌ^٢ منهما يُفسدُ قسمةَ اللحن وتجزئته ، وأنّ الصوت ما غنّيته
لا ما زادا .

ثم أقبل عليهما فقال : يا مخنّثان ، قد علمتُ أنكما لم تُريدا بما
فعلتماه مدحي ولا رفعتي ، وأنا على مكافأتكما قادر .

فضحك المأمون وقال له : ما كان ما رأيته من طَرَبِي لهما إلا
استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك .

١ يريد أن ليلته طويلة لا تنقضي .

٢ التزايد : تكلف الزيادة .

بين يدي المعتصم

دخلت^١ يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظباء
مذبحة وطير ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأمرني بالجلوس
والغناء ؛ فجلست^٢ وغنيت^٣ :

اشتبهنا ، في ربيع مرة ،
زهَمَ الوحش على لحم الإبل^٢

فغدونا بطُوال هيكَل ،
كعسيب النخل مَيَّاد خُضِل^٣

الشعر يقال انه لأعشى همدان .
فتبسّم وقال : وأين رأيت لحم الإبل ! فغنيت^٣ :

ليس الفتي فيهم ، إذا
شرب الشراب ، مُؤنَّباً

لكن يروح^١ مُرنَّحاً ،
حسن الثياب ، مُطَيَّباً

١ الحديث لاسحاق .

٢ الزم : شحم الوحش من غير ان يكون فيه زهومة ، اي كراهة ربح او تغير .

٣ الهيكَل : الضخم من الحيوان . العسيب : جريدة النخل . الميَّاد : المتمايل . الخُضِل : الندي .

يسقونه صِرْفاً على
لحم الطباء مُضْهِباً^١

فقال : هذا أشبه ؛ وشرب . ثم غثيته بشعر وضاح اليمن :

أبى القلبُ اليماني ،
الذي تُحْمَدُ أخلاقه^٢

ويرفضُ له اللحنُ ،
فما تفتنني أرتاقه^٣

غزالٌ أدعجُ العين ،
ربيبٌ ، خدلجُ ساقه^٣

رماني ، فسبى قلبي ،
وأرميه فأشتاقه

فطرب وقال : هذا والله أحسن صيد والذئبة ؛ وشرب عليه بقيّة
يومه وخلع عليّ وأمر لي بجائزة .

دقته في الوصف

حدثني عمي قال : حدثني فضل اليزيديّ قال :

١ المضب : المقطع .

٢ ارتاق ، واحدها رتق : الشق . ورتق الشق : اصلحه وضم بعضه الى بعض .

٣ الخدلج : الممتلىء السابقين ، ومنع ربيباً من الصرف ليستقيم الوزن .

قال لي إسحاق يوماً في 'عرض حديثه : دخلت على المعتصم ذات يوم وعليه قميص ديبقي^١ كأنما قد من جريم الزهرة^٢؛ فضحك؛ فقال : ما أضحكك ؟

فقلت : من مبالغتك في الوصف . فتبسّم . قال الفضل : وما سمعت محدثاً قط ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً .

يتبرم باسم مغن

قال لي^٣ إسحاق : وددت أن كل يوم قيل لي : غنّ ، أو قيل لي عند ذكرى : المغنّي ، ضرب رأسي خمسة عشر سوطاً ، لا أقوى على أكثر منها ، ولم يُقل لي ذلك .

لحن على لحن أذان

أخبرنا يحيى قال : حدثنا حمّاد قال : صنع أبي لحنه في « تشكّي الكميّت الجري » على لحن أذان سميّه .

حفظه للاهزاج

وتذاكرنا يوماً الهزج عند المأمون ؛ فقال عمرو بن بانة : ما أقله في الغناء القديم !

١ ديبقي : منسوب إلى ديبق وهي بلدة كانت بين الفرما وتيس من أعمال مصر .

٢ الزهرة : كوكب من السيارة معروف .

٣ الحديث لمحمد بن مالك .

فقال إسحاق : ما أكثره فيه !
ثم غنّاهم ثلاثين هزجاً في إصبع واحدة ومجى واحد ، ما عرفوا
جميعاً منها إلا نحو سبعة أصوات .

ذل المغنين له

قلت^١ لزُرْزور : ما لكم تَذِلُّونَ لإسحاق هذا الذلَّ ، وما فيكم
أحدٌ إلا وهو أطيب صوتاً منه ، وما في صنائعكم وصمة !
فقال لي : لا تقل ذلك ، فوالله لو رأيتنا معه لرحمنا ورأيتنا
نذوب كما يذوب الرصاص في النار !

خلاف على الرد

حدثني^٢ إسحاق قال :
لاعبتُ الفضل بن الربيع بالرد ، فوقع بيننا خلاف ، فحلف
وحلفت ، فغضب عليٌّ وهجرني ، فكتبت إليه :
يقول أناسٌ شامتون ، وقد رأوا^٣
مقامي وإغباي الرواح إلى الفضل^٣

١ الحديث لعافية بن شبيب .

٢ الحديث لمون بن محمد .

٣ الاغباب : زيارة القوم يوماً وتركم يوماً .

لقد كان هذا شخصاً بالفضل مرةً ،
فأصبح منه اليومَ منصرمَ الجبل
ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علمته
لَقَطَّعْتُ نفسي بالملامة والعذل

وعرضتُ الأبيات عليه ؛ فلمّا قرأها ضحك وقال : أشدُّ من ذنبك
أنك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً ؛ والله لولا أني أدبتك أدبَ
الرجل ولدته ، وأنّ حسنك وقبيحك مضافان إليّ لأنكرتني ؛ فأصليح
الآن قلبَ عون ؛ وكان يحجبه .

فخاطبته في ذلك فكلّمني بما كرهت ؛ فقلت : أتدخل بيني وبين
الأمير أعزّه الله !

ثم علمت أنه لا يتم لي رضا الفضل إلا بعد أن يرضى عون ،
فقلت فيه :

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلك عونُ
أنت لي 'عدّة' ، إذا كان كونُ

لك عندي والله ، إن رضى الفضلُ ،
غلامٌ يُرضيك ، أو بيرذونُ

فدخل الى الفضل فترضّاه لي فرضي ؛ ثم قال له : ويلك يا عون !
إنه والله إنما هجأك وأنت ترى أنه قد مدحك ، هنأ تعريض بك .
قال : فكيف أصنع به مع محلته عند الأمير !

شكاية المأمون اليه

أخبرني الصولي عن إسحاق ، قال :

استدنانني المأمون يوماً وهو مُسْتَلَقٍ على فراشٍ حتى صارت ركبتني على الفراش ، ثم قال لي : يا إسحاق ، أشكو إليك أصحابي : فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدّ جماعةً من خواصّه .

فقلت له : أنت يا سيّدي بتفضلك عليّ وحسن رأيك فيّ ظننتُ أنّي بمن يُشاوَر في مثل هذا ، فجاوزتَ بي حدّي ، وهذا رأيٌ يجيلُ عني ولا يبلغه قدري .

فقال : ولِمَ وأنت عندي عالم عاقل ناصح ؟

فقلت : هذه المنزلة عند سيّدي علّمتني ألا أقول إلاّ ما أعرف ولا أطلب إلاّ ما أنال .

فضحك وقال : قد بلغني أنّك في هذه الأيام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أسمعهُ منك .

فقلتُ : يا سيّدي ، ما سمعه أحدٌ إلاّ جوّاريّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُهُ .

فقال : غنّه .

فقلتُ : الهيبةُ والصّحوة يمنعانني أن أوذّيه كما تريد ، فلو آنس

أمير المؤمنين عبده بشيء يطربه ويقوي به طبعه كان أجود .
قال : صدقت .

ثم أمر بالغداء فتغدينا ، ومُدَّت الستارة فغُنِّي من ورائها وشربنا
أقداحاً ؛ فقال : يا إسحاق ، أما جاء أوان ذلك الصوت ؟
فقلت : بلى يا سيدي ؛ وغنَّيته لحني في شعر الراعي :

ألم تسأل ، بعارمة ، الديارا
عن الحميَّ المفارقِ أين صاراً ؟
بلى ساءلتها ، فأبت جواباً ،
وكيف تُسأل الدَّمنَ القِفارا ؟

قال : فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لي : يا
إسحاق ، لا طَلَبَ بعد وجود البُعْثية ، ما أشرب بقيَّة يومي هذا إلا
على هذا الصوت ؛ ثم وصلني وخلَّع عليَّ خِلعةً من ثيابه .

مدح أعرابية له

كانت^٢ أعرابية تَقْدَم عليَّ من البادية فأفْضِلَ عليها ، وكانت فصيحة ؛
فقلت لي ذات يوم : والذي يعلم مغزى كل ناطق لكأنك في عِلْمك

١ عارمة : موضع في ديار بني عامر بنجد .

٢ الحديث لإسحاق .

وُلدتَ فينا ونشأتَ معنا . ولقد أريْتَنِي نَجْداً بفصاحتك ، وأحللتَنِي
الرَّبِيعَ بِسماحتك ؛ فلا اطْرَدَ لي قولٌ إلاّ شكرتُكَ ، ولا نَسَمْتُ
لي ريحٌ إلاّ ذكّرتُكَ .

معاتبته لمهاجر له

كانت^١ بيني وبين الحليل بن هشام صداقة ثم استوحشنا ، فمررتُ
ببابه يوماً ، فتذممتُ^٢ أن أجوزَه ولا أدخلُ إليه ، فدعوتُ بدواةٍ
وقيرطاس وكتبتُ إليه :

رجعنا بالصفاء الى الحليل ،

فليس الى التَّهاجر من سبيل .

عتابٌ ، في مُراجعةٍ ، وصفحٌ ،

أحقُّ بنا وأنشبهُ بالجميل

قال : ووجهتُ بالرُّقعة وقصدتُ بابَه ، فخرج إليّ حتى تلقاني ،
ورجعنا الى ما كنّا عليه .

صدقه في الاخبار

حدّثني الصُّوليّ عن الهشاميّ قال :

١ الحديث لاسحاق .

٢ تذممت : استنكفت .

كان أهلنا يعتبرون^١ على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره،
بأن 'يجلسوا كاتبين فهِجَتين خَلَفَ السَّتارة ، فتكتبان ما يقوله
وتضبطانه ، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك
المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنه يقرأها من دفتر؛
فعلّموا حينئذ أنه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلاّ الحقّ.

مخطي علويه

حدّثني الصّولي عن إسحاق قال :

كتبنا عند المأمون ، فغنّاه علّويه :

لعبدة دار ، ما تكلّمنا الدار ،

تلّوح مغانبها ، كما لاح أسطار

أسائل أحجاراً ونؤيّاً مهّداً ؛

وكيف يردّ القول نؤيّ وأحجار^٢ !

الشعر لبشار والغناء لابراهيم .

قال : فقال المأمون : لمن هذا اللحن ؟

فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبي ، وقد أخطأ فيه علويه .

١ اعتبر الشيء : اختبره ونظر فيه ورده الى نظيره فحكم عليه بحكمه .

٢ النؤي : الحفير أو الحاجز حول الحباء أو الخيمة يدفع عنها السيل .

قال : فغنته أنت .

فغنته ، فاستعادنيه مراراً وشرب عليه أقداحاً ؛ ثم مثل قول جرير :

وابن اللبون ، إذا ما لُزَّ في قرن ،
لم يستطع صولة البزل القناعيس^١

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم .

حواره مع علويه

كان^٢ إسحاق بعد وفاة المأمون لا يغني إلا الخليفة أو وليَّ عهده
أو رجلاً من الطاهيرية مثل إسحاق بن إبراهيم وطبقته . فاجتمعنا عند
الوائق وهو وليَّ عهد المعتصم ، فاستهى الوائق أن يضرب^٣ بين
مخارق وعلويه وإسحاق ، ففعل حتى تهاوتوا ؛ ثم قال لإسحاق : كيف
هما الآن عندك ؟

فقال : أما مخارق فمُنادٍ طيّبُ الصوت ؛ وأما علويه فهو خير

١ ابن اللبون : ولد الناقة . لز : شد ولصق . القرن : الجبل . البزل ، واحدها بازل :
البعير الذي فطر ثابته ، أي انشق . القناعيس ، واحدها قنعايس : الجمل الضخم
العظيم الشديد .

٢ الحديث لجد أبي العيس بن حمدون .

٣ التضريب : الاغراء .

حماري العبادي^١ ، وهو على كل حال شبي^٢ ، يريد تصغيره .
فوثبَ علويه مُغَضَّباً ، ثم قال للوائق : جواريه حرائرُ ونساؤه
طوالقُ ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقَّ أبيك ، أن يصدقَ عمّا أسأله
عنه ، لأتوبنَّ عن الغناء ما عِشْتُ .

فقال له الوائق : لا تُعَرِّبِ يا عليّ ، نحن نفعل ما سألت ؛ ثم
حَلَفَ إسحاق أن يصدقَ فحلف .

فقال له : مَنْ أحسنُ الناسَ اليومَ صنعةً بعدك ؟
قال : أنت .

قال : فمن أضربُ الناسَ بعد ثَقِيف ؟
قال : أنت .

قال : فمن أطيبُ الناسَ صوتاً بعد مُخَارِق ؟
قال : أنت .

قال علويه لاسحاق : أهذا قولك فيّ وأنت تعلم أني مُصَلِّي^٣ كل
سابق فاضل ، وأنّي ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلهم ولا
يكون ! فما أنت وغناؤك الذي لا يُسمَعُ انخفاضاً !

١ يشير بهذا الى المثل المشهور ، وهو ما يقال من أنه كان لعبادي حماران ، فقيل له : أي
حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا . أي لا فضل لأحدهما على الآخر . يضرب هذا المثل
في خلتين احدهما شر من الأخرى .

٢ شبي : تصغير شبي .

٣ المصلي : التالي للسابق من خيل السباق . والسابق : الاول .

فغضب إسحاق ، وانتهر الوائق علويه . ثم أخذ إسحاقُ عوداً
فنقل مَثناه الى موضع البَم^١ ، وزيرَه الى موضع المِثْلث^٢ ، وجعل
البَم والمِثْلث مكان الزير والمِثْنى ، وضرب وقال : ليغنَّ من شاء منكم .
فغنَّى 'مخارق عليه :

تَقَطَّعَ من ظَلَامَةِ الوصلِ أجمعُ ،
أخيراً ، على أنْ لم يكن يَتَقَطَّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَينُ في الأوتار خلافٌ ولا فُتيد من
الايقاع شيء ولا بان فيه اختلال ، فعظُم عجبُ الوائق من فعله ؛
وقام إسحاق فرقص طرباً ، فكان والله أحسنَ رقصاً من كَبَيْش
وعبد السلام ، وكنا من أرقص الناس ، فقال الوائق : لا يكمل أحدٌ أبداً
في صناعته كمثل كمال إسحاق .

ابن طاهر يمدحه

دخلت^٣ على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيم بن وهب
بالشَّطرنج ، فغلبه عبد الله ، وأوماً إليّ بأن أكايده ؛ فقلت :

١ المثنى : من الأوتار ما بعد الاول . البَم : الوتر الغليظ .

٢ المثلث : من الأوتار ما كان على ثلاث طاقات او هو الثالث منها . الزير : الدقيق من الأوتار
او أحدها .

٣ الحديث لاسحاق .

قد ذهبتُ منك ، أبا إسحاق ،
مثلَ ذهابِ الشهرِ بالمُحاقِ

فقال لي عبد الله : إن فضائلك يا أبا محمد لتتكاثر عندنا ، كما قال
الشاعر في إبله :

إذا أتاه طالبٌ يستأمرها ،
تكاثرت في عينه كرامها

الوائق يأخذ لحنه

أخبرني محمد بن المَرْزُبان عن إسحاق قال :
أنشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ ،
فاستحسنتهما ، وصنعت فيهما لحناً غنَّيته الواثق ؛ فاستعاده حتى أخذه ،
وأمر لي بثلاثين ألف درهم ؛ وهما :

عسى الله ، يا ظمياء ، أن يعكسَ الهوى ،
فَتَلْقَيْنَ ما قد كنتُ منك لَقِيتُ

ثراءً فتحتاجي إليّ ، فتعلمي
بأني به أجزيك حين غنيتُ

١ المحاق : آخر الشهر إذا احق الهلال فلم ير .

يضرب على عود مشوش

كان إسحاق الموصلي وإبراهيم بن المهدي إذا خلّوا فهما أخوان ،
وإذا التقيا عند خليفة تكاشحا^١ أقبح تكاشح ؛ فاجتمعا يوماً عند
المعتصم ؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق ، إن إبراهيم يشلّبك
ويغض^٢ منك ويقول إنك تقول : إن مخارقاً لا يحسن شيئاً ،
ويتضاحك منك .

فقال إسحاق : لم أقل يا أمير المؤمنين : إن مخارقاً لا يحسن شيئاً ،
وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخرجه وتخرجي ! ولكن قلت :
إن مخارقاً يملك من صوته ما لا يملكه أحد ، فيتزايد فيه تزايداً لا
يبقي عليه ويتغير في كل حال ، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقله نفعاً
لمن يأخذ عنه ، لقلّة ثباته على شيء واحد . ولكني أفعل الساعة فعلاً
إن زعم إبراهيم أنه يحسنه فليست أحسن شيئاً ، وإلا فلا ينبغي له
أن يدّعي ما ليس يحسنه .

ثم أخذ عوداً فشوّش أوتارَه ، ثم قال لإبراهيم : غنّ على هذا أو
يغنّي غيرك وتضرب عليه .

١ تكاشحا : تعاديا .

٢ يغض منك : يضع من قدرك .

فقال المعتصم : يا إبراهيم ، قد سمعت ، فما عندك ؟

قال : ليفعله هو إن كان صادقاً .

فقال له إسحاق : غنّ حتى أضربَ عليك .

فأبى .

فقال لزُرْزُور : غنّ ؛ فغنّى وإسحاق يضرب عليه حتى فرغ من

الصوت ما عليهم أحد أن العود مشوّش .

ثم قال : هاتوا عوداً آخر ؛ فشوّشه وجعل كل وترٍ منه في الشدّة

واللين على مقدار العود المشوّش الأوّل حتى استوفى ؛ ثم قال لزُرْزُور :

خذ أحدهما !

فأخذه .

ثم قال : انظر الى يدي واعمل كما أعمل واضرب .

ففعل ؛ وجعل إسحاق يغنّي ويضرب وزُرْزُور ينظر إليه ويفعل

كما يفعل ؛ فما ظنّ أحدٌ أن في العودين شيئاً من الفساد لصحة نغمهما

جميعاً الى أن فرغ من الصوت .

ثم قال لإبراهيم : خذ الآن أحد العودين ، فاضرب به مبدأً أو

عمودَ طريقةٍ أو كيف شئتَ إن كنت تُحسن شيئاً .

فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً ؛ فقال له المعتصم : أرايتَ

مثل هذا قطّ ؟

قال : لا ، والله ما رأيتُ ولا ظننتُ أن مثله يكون .

يوم لدن الطرفين

دعاني^١ إسحاق يوماً ، فمضيتُ اليه وعنده الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ
وعَلَوِيَّةُ وَحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ ، فمررتُ لنا أحسن يوم ؛ فالتفتُ إلى إسحاق^٢
ثم قال : يومنا هذا والله يا أبا العباس كما قال الشاعر :

أنت والله ، من الأيام ،
لدن^٣ الطرفين^٤

كلُّما قلبتُ عيني ،
ففي قرّة عين

الوائق يخلع عليه

دخلتُ^٥ يوماً على الواائق فقال لي : يا إسحاق ، إني أصبحت اليوم
قَرَمًا ، إلى غنائك فغنّني ؛ فغنّيته :

من الأطباءِ طباءُ همُّها السُّحْبُ^٥
ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشْبُ^٥

١ الحديث للفضل الزبيدي .

٢ لدن : لين .

٣ الحديث لإسحاق .

٤ القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

٥ السحب ، واحدها سحاب : فلاة تتخذ من قرنفل وغيره . يقول : ان في النساء المكنى
عنهن بالطباء من لا هم لهن الا التزين وقتة القلوب .

لا يَغْتَرِبُنْ ، ولا يَسْكُنْ باديةً ،
وليس يَدْرِينْ ما ضَرَعٌ ولا حَلَبٌ^١

إذا يَدُّ سَرَقَتْ ، فالقطع يلزمها ،
والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يَجِبُ

قال : فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته ، وخلع عليّ خلعةً
من ثيابه .

يشتاق الى بغداد

خرجتُ مع الواثق الى الصالحية^٢ وهو يريد النزهة ، فذكرتُ بغدادَ
وعياي وأهلي وولدي بها فبكيتُ ؛ فقال لي : بجياي أذكّرتُ بغدادَ
فبكيتُ شرقاً إليها ؟

فقلت : نعم ؛ وغشيتُه :

وما زلت أبكي في الديار ، وإنما
بكائي على الأحباب ليس على الدار

قال : فأمر لي بمائة ألف درهم وصرّفني .

١ يريد انهن من المنعمات لا يشتغلن ، ولا يعرفن النياق وحلبهن . يعني انهن من المخدرات .
٢ الصالحية : محلة ببغداد تنسب الى صالح بن المنصور المعروف بالمسكين .

طيب هواء النجف

ما وصلني^١ أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلني به الواصل . ولقد
انحدرتُ معه الى النجف^٢، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلت في
النجف قصيدة ؛ فقال : هاتِها ؛ فأنشدته :

يا راكب العيس ! لا تعجل بنا ، وقِفْ
نَحْيَ دَارِ السُّعْدَى ، ثم نَنْصُرِفِ^٣

حتى أتيتُ على قولي :

لم ينزلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ
أصفى هواءً ، ولا أعذَى من النجفِ^٤ ؛

حَفَّتْ بِبَرٍّ وبحرٍّ من جوانبها ؛
فالبرُّ في طَرَفٍ والبحرُ في طرفِ

وما يزالُ نسيمٌ من يَمَانِيَةِ
يأتيك منها بريًّا رَوْضَةَ أَنْفِ^٥

١ الحديث لاسحاق .

٢ النجف : موضع بظهر الكوفة وهو دومة الجندل بعينها .

٣ العيس : النياق .

٤ أعذَى : أطيب هواء .

٥ الروضة الأنف : التي لم يرعها أحد .

فقال : صدقتَ يا إسحاق ، هي كذلك .

ثم أنشدته حتى أتيت على قولي في مدحه :

لا يحسبُ الجودَ يُفني ماله أبداً ،
ولا يرى بذلَ ما يحوي من السَّرَفِ

ومضيت فيها حتى أتممتها ؛ فطرب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمد ؛
وكتّاني يومئذ ، وأمر لي بمائة ألف درهم ؛ وانحدر الى الصالحية التي يقول
فيها أبو نُوَّاس :

بالصالحية من أكنافِ كلِّواذٍ

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت :

أتبكي على بغدادَ ، وهي قريبةٌ ،
فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعداً

لَعَمْرُكَ ما فارقتُ بغدادَ عن قِلِّي ،
لو أننا وجدنا عن فراقٍ لها بُدّاً

إذ ذكرتُ بغدادَ نفسي تَقَطَّعتُ
من الشوق ، أو كادت تموتُ بها وجداً

كفى حزنًا أن رُحِّتُ لم أستطع لها
وداعاً ، ولم أحدثُ بساكنها عهداً

١ كلواذ : مدينة كانت قرب بغداد في ناحية الجانب الشرقي منها .

قال : فقال لي : يا موصلي ، أشتقت الى بغداد ؟
فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن من أجل الصبيان ، وقد
حضرتي بيتان .
فقال : هاتهما .
فأنشدته :

حَنَنْتَ الى الأَصْيَبِيَّةِ الصَّغَارِ ،
وشاقك منهمُ قربُ المَزَارِ
وأبرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً ،
إذا دنتِ الديارُ من الديارِ

فقال لي : يا إسحاق ، صِرْ الى بغداد فأقيمُ مع عيالك شهراً ثم
صِرْ إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

لحنه ولحن الواصل

أخبرنا يحيى بن عليّ قال :

لما صنع الواصل لحنه في :

أيا مُنْشِرَ المَوْتِ ! أقيدني من التي
بها نَهَيْتُ نفسي سَقاماً ، وعلَّيتُ^١

١ أقيدني منها : اقتلها بي قصاصاً . نهكت : شربت الشرب الأول . علت : شربت الشرب الثاني .

لقد بَخِلْتُ ، حتى لوَ اني سألتُها
قَذَى العين ، من سافي التراب ، لَضَنَّتْ ١

أعجِبْ به ، إعجاباً شديداً ، فوجّه بالشعر الى إسحاق الموصليّ وأمره أن
يغني فيه ؛ فصنع فيه لحنه الثقيل الأول ، وهو من أحسن صنعة
إسحاق ؛ فلما سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغر لحنه في عينه ، وقال :
ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر ، لأنه قد أفسد
علينا لحننا .

قال علي بن يحيى : قال إسحاق : ما كان يحضر مجلس الواثق علم
منه بهذا الشأن .

نسبة هذين الصوتين

أيا مُنْشِرَ الموتى ! أَقِدتْني من التي
بها نَهَيْتْ نفسي سَقاماً ، وَعَلَّتْ

لقد بَخِلْتُ ، حتى لوَ اني سألتُها
قَذَى العين ، من سافي التراب ، لَضَنَّتْ

الشعر لأعرابي .

أنشدني هذه الأبيات عمّي عن إسحاق أنه أنشد لأعرابي فقال :

١ القذى : ما يدخل في العين فيؤذيها . سافي التراب : ما ذرته الريح .

أَلَا قَاتَلَ اللهُ الحَمَامَةَ ، 'غُدُوءَةً' ،
 عَلَى الغَصْنِ ، مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتْ
 تَغَنَّتْ بِصَوْتٍ أَعْجَمِيٍّ ، فَهَيَّجَتْ ،
 مِنَ الشَّوْقِ ، مَا كَانَتْ ضُلُوعِي أَجَنَّتْ ١
 فَلَوْ قَطَرَتْ عَيْنُ امْرِئٍ ، مِنْ صَبَابَةٍ ،
 دُمًّا قَطَرَتْ عَيْنِي دُمًّا ، فَأَلَمَّتْ ٢
 فَمَا سَكَنْتُ ، حَتَّى أَوَيْتُ لَصَوْتِهَا ،
 وَقُلْتُ تُرَى هَذِي الحَمَامَةُ 'جَنَّتْ' ٣
 وَلِي زَفَرَاتٌ ، لَوْ يَدُومُنَ قَتْلُنِي
 بِشَوْقٍ إِلَى نَائِي الَّتِي قَدْ تَوَلَّتْ ٤
 إِذَا قُلْتُ هَذِي زَفْرَةُ الْيَوْمِ قَدْ مَضَتْ ،
 فَمَنْ لِي بِأُخْرَى فِي غَدٍ قَدْ أَظْلَتْ ٥
 فَيَا مُحْسِنِي الْمَوْقِي أَقْبِدْنِي مِنَ الَّتِي
 بِهَا نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَامًا ، وَعَلَّتْ

١ أجنّت : سترت .

٢ يريد بقوله المت : ان عينه ذهب بصرها لبكائها الدم .

٣ أويت لصوتها : رقت له ورحمته .

٤ تولّت : أعرضت .

٥ أظلت : يقال أظله الشيء : غشيه ، وألقى عليه ظله .

لقد بخلت ، حتى لو أني سألتها
قدّى العين ، من سافى التراب ، لصدت

فقلت ارحل يا صاحبي ! فليتنى
أرى كل نفس أعطيت ما تمّت

حلفت لها بالله ما أمّ واحد ،
إذا ذكرته آخر الليل حنت

وما وجد أعرابية ، قدّفت بها
صروف النوى ، من حيث لم تك ظنت

إذا ذكرت ماء العضاه وطيبه ،
وبرد الحمى ، من بطن خبت ، أرنت^١

بأكثر مني لوعة ، غير أنني
أجمعهم أحشائي على ما أجنّت^٢

وأما لحن إسحاق فإنه غنى في :

لقد بخلت حتى لو أني سألتها

وأضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو :

١ العضاه : ضرب من الشجر له شوك . الحبت : الوادي العميق وما اطمان من الارض واتسع .

أرنت المرأة في نوحها : صاحت مع البكاء .

٢ أجمعهم : أطوي أحشائي وأخفي بها ما سترته من اللوعة .

فإن بخلت ، فالبخل منها سجيّة ،
وإن بذلت أعطت قليلاً وأكثدت^١

قال : ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالسّبابه في مجرى الوسطى .

مخارق يكيد

كان الواصل إذا صنع صوتاً قال لاسحاق : هذا وقع الينا البارحة
فاسمعه ؛ فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء . فكاده مخارق عنده
وقال له : إنما يستجيد صنعتك إذا حضر ليُقاربك ويستخرج ما عندك ،
فاذا فارق حضرتك قال في صنعتك غير ما تسمع .

قال الواصل : فأنا أحب أن أقف على ذلك .

فقال له مخارق : فأنا أغنيّه « أيا منشّر الموقى » فإنه لم يعلم أنه لك
ولا سمعه من أحد .

قال : فافعل .

فلما دخل إسحاق غتاه مخارق وتعمّد لأن يفسده بجهد ، وفعل
ذلك في مواضع خفيّة لم يعلمها الواصل من قسمته ؛ فلما غتاه قال
له الواصل : كيف ترى هذا الصوت ؟
قال له : فاسدٌ غير مرّضي .

١ أكثدت : قلت عطاءها ومنعته .

فأمر به فسُحِبَ من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأمر بنفيه الى بغداد .
ثم جرى ذكره يوماً . فقالت له فريدة : يا أمير المؤمنين ، إنما كاده
مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوْهَمَكَ أنه زاد فيه بحذقه نَعَمًا
وجودةً ، وإسحاق يأخذ نفسه بقول الحق في كل شيء ساءه أو سرّه ،
ويفهم من غامض عِلَلِ الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحْضِرْهُ أمير
المؤمنين ويحلِّفه بغليظ الأيمان أن يصدِّقَه عما يسمع ، وأغْنِيَه إياه
حتى يقف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسدًا فصدِّق عنه لم يكن عليه
عتب ، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسدًا إذا
كان فيه فساد ؛ وإن كان صحيحًا قال فيه ما عنده .

فأمر بالكتاب بحمله فحُمِلَ وأُحْضِرَ ، فأظهر الرضا عنه ولزِمَه أيامًا ؛
ثم أحلفه ليصدِّقَنَ عما يمرّ في مجلسه فحلف له . ثم غشّى الواثق أصواتًا
يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده ؛ ثم غشّته فريدةُ هذا الصوتَ
وسأله الواثق عنه ، فرضيه واستجاده ، وقال له : ليس على هذا سمعته في
المرّة الأولى . وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مخارق إياها ؛
فسكن غضبه ووصل إسحاقَ وتنكّر لمُخَارِقَ مدّة .

بينه وبين الواثق

حدّثني إسحاق الموصلي^١ :

أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطَّاهِرِيِّ ، وقد كان تكلم له في

١ الحديث لمحمد بن مالك .

حاجة فقضيت ، فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمْنِيَّةٌ
ولم تبلُغْهُ رغبة .

قال : فاشتبهى هذا الكلامَ واستعادته مني فأعدته . ثم مكثنا ما
شاء الله ، وأرسل الوراق الى محمد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في
الصوت الذي أمرني به بأن أغتني فيه ، وهو :

لقد بَخِلْتُ حَتَّى لَوَ اِنِّي سَأَلْتُهَا

فَغَنِّيَتْهُ إِيَّاهُ ، فَأَمَرَ لِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَخَرَجْتُ وَأَقَمْتُ مَا شَاءَ
اللَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ مُغَنِّيهِمْ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الْغَنَاءَ مِنِّي .

فلَمَّا طَالَ مُقَامِي قُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْمُغَنِّيِّينَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الصَّوْتَ مِنِّي .

فَقَالَ لِي : وَلِمَ ؟ وَيُحَكِّكَ !

فَقُلْتُ : لِأَنِّي لَا أَصَحِّحُهُ وَلَا تَسْخُو نَفْسِي بِهِ لَهُمْ ؛ فَمَا فَعَلْتُ الْجَارِيَةَ
الَّتِي أَخَذَتْهَا مِنِّي ؟

يعني شجاء ، وهي التي كان أهداها الى الوراق وعَمِلَ بِجَرْدِ أَغَانِيهَا
وَجَنَسَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى شَعْرَائِهِ وَمُغَنِّيِّهِ ، وَهُوَ الَّذِي فِي أَيْدِي النَّاسِ
يَوْمَ .

فَقَالَ : وَكَيْفَ ؟

قال : لِأَنَّهُا تَأْخُذُهُ مِنِّي وَيَأْخُذُونَهُ هُمْ مِنْهَا .

فأمر بها فأخرجت وأخذته على المكان ؛ فأمر لي بمائة ألف درهم
وأذن لي في الانصراف .

وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً ؛ فقلت للوائق عند
وداعي له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تحيط به أمنيّة ولم
تبلغه رغبة .

فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : ايّ إسحاق أتعيد الدعاء !
فقلت : إي والله أعيده قاضٍ أنا أو مغنٍ .

وقدِمْتُ بغداد ، فلمّا وافى إسحاقُ جئته مُسلِّماً عليه ؛ فقال لي :
ويحك يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟
قلت : لا أيها الأمير .

قال : قال لي : ويحك ! كنّا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاقاً على
لحننا حتى أفسده علينا .

قال عليّ بن يحيى : فحدثني إسحاق قال : استأذنتُ الوائقَ عدّة
دفعات في الانحدار الى بغداد فلم يأذن لي ، فصنعتُ لحناً في :

خليليّ عوجاً من صدور الرّواحل

ثم غنّيته الوائقَ فاستحسنه وعجّب من صحّة قِسْمته ومكث
صوته أيتاماً ، ثم قال لي : يا إسحاق ، قد صنعتُ لحناً في صوتك في
إيقاعه وطريقته .

وأمر من وراء الستّارة فغنّوه .

فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين بغضت إليّ لحني وسميحتَه عندي .
وقد كنتُ استأذنته في الانحدار الى بغداد فلم يأذن لي ؛ فلمّا
صنع هذا اللحنَ وقلتُ له ما قلتُ ، أتبعته بأن قلتُ له : قد والله
يا أمير المؤمنين اقتصصتَ مني في : لقد بخلتُ ، وزدتُ .
فأذن لي بعد ذلك .

نسبة هذا الصوت

خليليَّ عوجاً ، من صدور الرواحلِ ،
بجرعاءٍ حزوى ، فابكياً في المنازلِ^١
لعلَّ انحدار الدّمع يُعقب راحةً
من الوجْدِ ، أو يَشْفِي نَجِيَّ البلابلِ^٢
الشعر لذي الرُّمّة .

ابن عيَّاش وذو الرمة

أخبرني أحمد بن عمّار عن أبي بكر بن عيَّاش قال :
كنتُ إذا أصابتنِي المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكتُ عن البكاء ، فأجدُ

١ عوجاً : اعطفا . الرواحل ، واحدها راحلة : النجيب الصالح من الابل . الجرعاء : الرملة
السهلة المستوية . حزوى : موضع بنجد في ديار تميم .
٢ البلابل : الهموم في الصدور .

ذلك يشتد عليّ ، حتى مررت ذات يوم بالكُناسة ١ فإذا أنا بأعرابي واقف على ناقة له وهو يُنشد :

خليلي عوجاً ، من صدور الرّواحل ،
بجرّ عاءٍ حزوي ، فابكياً في المنازل

لعلّ النّحدار الدّمع يُعقب راحة
من الوجد ، أو يشفي نجّي البلابل

فسألت عنه فقيل لي : هذا ذو الرّؤمة ؛ فكنت بعد إذا أصابني مصيبة بكيت فأجد لذلك راحة .

فقلت : قاتل الله الأعرابي ! ما كان أعلمه وأفصح لهجته !

أيهما أجود؟

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال :

قلت لاسحاق : أيهما أجود ، لحنك في : خليلي عوجاً ، أم

لحن الوائق ؟

فقال : لحي أجود قِسْمةً وأكثر عملاً ، ولحنه أطرب ، لأنه

جعل ردّته من نفس قِسْمته ، وليس يقدر على أدائه إلا متمكن من نفسه .

١ الكُناسة : محلة بالكوفة .

قال علي بن يحيى : فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق .

قال : وقال لي إسحاق : ما كان بحضرة الواثق أعلم منه بالغناء .

ابن المعتز يفضل الواثق

خبرني علي بن هارون قال :

كان عبد الله بن المعتز يحلف أن الواثق ظلم نفسه في تقديمه لحن إسحاق في : لقد بَجَلَتْ .

قال : ومن الدليل على ذلك أنه قلما غنّي في صوت واحد بلحنين فسقط أجودهما وشهر الدّون ، ولا يُشهر من اللحنين إلا أجودهما ، ولحن الواثق أشهرهما ، وما يروي لحن إسحاق إلا العجائز ومن كثرته روايته .

يعرض صنعة علي إسحاق

كان الواثق يعرض صنعة علي إسحاق فيصليح فيها الشيء بعد الشيء .

آخر صوت صنعه

أخبرنا حسين بن يحيى عن حمّاد :

أن آخر صوت صنعه أبوه : لقد بَخِلَتْ ، ثم ما صنع شيئاً
حتى مات ..

شعر أبي القنافذ

دخل أعرابي من بني سليم سرّاً رأى وكان يُكنى أبا
القنّافذ ، فحضر باب المعتصم مع الشعراء فأذن له ؛ فلما مثل بين
يديه أنشده :

مِراضُ العيونِ ، خِماصُ البطونِ ،
طِوالُ المتونِ ، قِصارُ الخطا

عِناقُ النّحورِ ، رِقاقُ الثّغورِ ،
لِطافِ الحُصورِ ، خِدالِ الشّوى^١

عِطابيلُ ، من كلّ رَقراقَةٍ
تَلُوثُ الأزارَ بدِغصِ النّقا^٢

١ الحديث لاسحاق .

٢ عناق النحور : جميلاتها . خدال ، واحدتها خدلة : الغليظة الساق المستديرتها .
الشوى : الاطراف .

٣ عطابيل ، واحدتها عطبولة وعطبول : الجارية الفتية الجميلة المعتلة الطويلة العنق . الرقراقه :
التي كأن الماء يجري في وجهها . تلوث الازار : تعصبه . الدغص : كتيب الرمل المجتمع .

إِذَا هُنَّ مَتَيْنَا نَائِلَا،
أَبَى الْبُخْلُ مِنْهُنَّ ذَاكَ الْمُتَى

إِلَى التَّفَرِّ الْبَيْضِ أَهْلَ الْبِطَاحِ،
وَأَهْلَ السَّمَاحِ، طَلَبْنَا التَّدَى

لَهُمْ سَطَوَاتُ إِذَا هَيَّجُوا،
وَحَلَمَ إِذَا الْجَهْلُ حَلَّ الْحُبَا

يَبِينُ لَكَ الْخَيْرُ فِي أَوْجُهُ
لَهُمْ كَالْمَصَائِيحِ تَجَلُّو الدُّجَى

سَعَى النَّاسُ كِي يُدْرِكُوا فَضْلَهُمْ،
فَقَصَّرَ عَنْ سَعِيهِمْ مَنْ سَعَى

سَعَى لِلْخِلَافَةِ فَاقْتَادَهَا،
وَبَرَزَ فِي السَّبْقِ لَمَّا جَرَى

قال : فاستحسنها المعتصم وأمرني فغنيت فيها ، وأمرَ للأعرابي
بعشرين ألفَ درهمٍ ولي بثلاثين ألفَ درهمٍ ؛ وما خرج الناس يومئذ
إلا بهذه الأبيات .

١ الحبا ، واحدها حبة : الثوب الذي يحنى به . والاحتباء : ضم الانسان رجله الى بطنه
بثوب يجمعهما . وحل الحبا : كناية عن القيام .

يطلب نبيداً

حدثني عمي عن إسحاق قال :

كتبته الى علي بن هشام أطلب منه نبيداً ، فبعث إليّ جماناً^١ بما التمسته ، وكتب إليّ : قد بعثت إليك بشراب أصلب من الصخر ، وأعتق من الدهر ، وأصفى من القطر .

لميس تسرق لحنه

لما صنع إسحاق لحنه :

أماوي ! إن المال غاد ورائح ،
ويبقى من المال الأحاديث والذكري^٢

وقد علم الأقوام لو أن حاتمًا
يريد ثراء المال كان له وفر

وكان كثير الملازمة لعبد الله بن طاهر ، ثم تخلف عنه مدة وذلك في أيام المأمون ؛ فقال عبد الله للميس جاريته : خذي لحن إسحاق في :

أماوي ! إن المال غاد ورائح

١ جمان : لعله وكيل ابن هشام .

٢ الشعر لحاتم الطائي ، يخاطب ماوية بنت عفزر وقد خطبها الى اهلها .

فاخلعيه على :

وهبت شمالاً ، آخر الليل ، قرة^١ ،
ولا ثوب إلا بُردُها وردائياً

وألقيه على كل جارية تعلّمينها واشهريه وألقيه على من يجيده
من جواري زبيدة ، وقولي : أخذته من بعض عجائز المدينة .
ففعلت ، وشاع أمره حتى غنّي به بين يدي المأمون ؛ فقال المأمون
للجارية : بمن أخذت هذا ؟

ف قالت : من دار عبد الله بن طاهر من لميس جاريته ، واخبرتني
أنها أخذته من بعض عجائز المدينة .
فقال المأمون لاسحاق : ويلك ! قد صيرت تسرق الغناء وتدّعيه !
اسمع هذا الصوت .

فسمعه فقال : هذا وحياتك لحني ، وقد وقّع عليّ فيه نقب من
لصّ حاذق ، وأنا أغوص عليه حتى أعرفه .
ثم بكّر الى عبد الله بن طاهر فقال : أهدا حقّي وحرمتي وخدمتي !
تأخذ لميس لحني في :

أماوي ! إن المال غادٍ ورائح

فتغنّيه في : وهبت شمال ! وليس بي ذلك ، ولكن بي أنها

١ قرة : باردة .

فضحتني عند الخليفة وادّعت أنها أخذته من بعض عجائز المدينة .
فضحك عبد الله وقال : لو كنت تُكثِر عندنا كما كنت تفعل لم
تُقدِّم عليك لميس ولا غيرها . فاعتذر فقبل عذره ، وقال له : أيُّ
شيء تريد ؟

قال : أريد أن تُكذِّب نفسها عند من ألقته عليها حتى يعلم
الخليفة بذلك .

قال : أفعل .

ومضى إسحاق إلى المأمون وأخبره القصة ؛ فاستكشفها من لميس
حتى وقف عليها ، وجعل يعبث بإسحاق بذلك مدة .

جائزة الأمين

حدَّثني 'سَهَوَاتُ الصَّنَاجَةِ' التي كان إسحاق أهداها إلى الوراق :
أن محمداً الأمين لما غناه إسحاق لحنه الذي صنعه في شعره :

يَا أَيُّهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ ، فَدَّتْ

نَفْسُكَ نَفْسِي بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ

بَسَطْتَ لِلنَّاسِ ، إِذْ وَلِيْتَهُمْ ،

يَدًا مِنْ الْجُودِ فَوْقَ كُلِّ يَدِ

١ الحديث لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

فأمر له بألف ألف درهم ؛ فرأيتها قد وصلت الى داره يحملها
مائة فرّاش .

الواثق يعجب بمجوابه

غنيت^١ الواثق :

عفا طَرْفُ الْقُرَيْتِ ، فَالْكَيْبُ^٢
الى مَلْحَاءَ لَيْسَ بِهَا غَرِيبُ^٣

تَأْبَدُ رَسْمُهَا ، وَجَرَى عَلَيْهَا
سِوَا فِي الرِّيحِ وَالتُّرْبِ الْغَرِيبِ^٣

قال : فقال لي : يا إسحاق ، قد أحسن ابنُ هَرَمَةَ في البيتين ،
فأي شيء هو أحسنُ فيهما من جميعهما ؟

قال قلت : قوله : التُّرْبِ الْغَرِيبِ ، يريد أن الرِّيحَ جاءت الى
الأرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضع بعيد .
فقال : صدقتَ وأحسنْتَ ؛ وأمر لي بخمسين ألفَ درهم .

١ الحديث لاسحاق .

٢ ملحاء : من أودية اليمامة . غريب : أحد .

٣ تأبَد : أقفر . سِوَا فِي الرِّيحِ : التراب الذي تذريره الرِّيح .

بيت يزاد على لحنه

كنا يوماً عند أحمد بن المدبّر ، فغناهُ مغمّ كان عنده
لحنَ إسحاق :

فأصبحتُ كالخومانِ ينظرُ حسرةً
إلى الماءِ ، عطشاناً ، وقد مُنِعَ الوردُ^٢
وقال ابن المدبّر : زد فيه :

وأُسميتُ كالمسلوبِ مهجةً نفسه ،
يرى الموتَ في صدّ الحبيبِ ، إذا صدّا

ينشد مروان شعره

حدّثني الأخفش قال : حدّثني محمد بن يزيد الأزديّ قال : حدّثني
شيخ من ولَدِ المهلب قال :

دخل مروانُ بن أبي حفصة يوماً على إبراهيم الموصليّ ، فجعلوا
يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانُ بن أبي حفصة لنفسه :

إذا مُضِرُّ الحَمراءِ كانت أرومتي ،
وقام بينصري خازمٌ وابنُ خازمٍ

١ الحديث لمحمد بن الحرون .

٢ الخومان : العطشان . الورد : الشرب .

عطست بأنفٍ شامخٍ ، وتناولتُ
يدي الشُّرَيَّا ، قاعداً غيرَ قائمٍ

قال : وجعل إبراهيم يحدث مرّ وان وهو عنه ساهٍ مشغول ، فقال له :
ما لك لا تحببني ؟
قال : إنك والله لا تدري ما أفرغ ابنك هذا في اذني .

يسكر على شعر

حدثني أحمد بن جعفر عن يعقوب بن بشر قال :
كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نُزهة ، فمرّ بنا أعرابيٌّ ، فوجه
إسحاقُ خلفه بعلامه زيادٍ الذي يقول فيه :

وقولاً لساقينا زيادٍ يُرِقّها ،
فقد هدّ بعضَ القومِ سَقْيُ زيادٍ

قال : فوافانا الأعرابيٌّ ، فلمّا شربَ وسَمِعَ حنين الدّواليب قال :

بَكَرْتُ تَحِينُ ، وما بها وَجْدِي ،
وأَحِينُ من وَجْدٍ إلى نَجْدٍ

فدموعُها تَحِينُ الرِّياضُ بها ،
ودموعُ عَيْنِي أَقْرَحَتْ خَدَيَّ

وبساكني نجد كلفتُ، وما
يُغني لهم كلفِي، ولا وَجدي

لو قيسَ وجدُ العاشقين الى
وَجدي، لَزاد عليه ما عندي

قال: فما انصرف إسحاق الى بيته إلاَّ محمولاً سُكراً، وما شرب
إلاَّ على هذه الأبيات .

حكاية بساط الفضل

دخلت^١ على الفضل بن الربيع، وهو على بساط سُوسَنجَرْدِي^٢
ستيني، مُذهب، يلعب، عليه مكتوب: «مما أمرَ بصنْعته حَمَّادُ
عَجْرَد»؛ فقال لي: أتدري مَنْ حَمَّادُ عَجْرَد؟
قلت: لا .

قال: حَمَّادُ عَجْرَد كان واليَ تلك الناحية؛ أفرأيتَ مثله قط؟
قلت: لا .

فسكتَ؛ ثم قلت: أهكذا يفعل الناس؟
قال: أيّ شيء يفعلونه؟

١ الحديث لاسحاق .

٢ سوسنجردي؛ نسبة الى سوسنجرود من قرى بغداد .

قلت : تَهَبْهُ لِي .

قال : لا أفعل .

قلت : إِذَا أَغْضَبَ .

قال : مَا شِئْتَ أَفْعَل .

فَخَرَجْتُ مُتَغَضِبًا ؛ فَلَمَّا وَافَيْتُ مَنْزِلِي إِذَا بِرَسُولِهِ قَدْ لَحِقَنِي
بِالْبَسَاط ؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بَيْتَيْنِ لِحِمْرَةِ بْنِ مُضَرَ :

وَلَقَدْ عَدَدْتُ ، فَلَسْتُ أَحْصِي كُلَّ مَا

قَدْ نِلْتُ مِنْكَ ، مِنْ الْمَتَاعِ الْمُؤَنِقِ

بِجُدِّيعَتِي ، فَأَرَاكَ مُنْخَدَعًا لَهَا ،

وَفُكَاهَتِي وَتَغَضُّبِي وَغُلْظَتِي

فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ضَحِكُ وَقَالَ لِي : الْبَيْتَانِ خَيْرٌ مِنَ الْبَسَاط ،
فَالْفُضْلُ الْآنَ لَكَ عَلَيْنَا .

مناظرته لاييه

أخبرني يحيى بن عليّ عن عمرو بن بانه قال :

رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِّيِّ يَنْظُرُ إِسْحَاقَ فِي الْغَنَاءِ ، فَتَكَلَّمَا بِمَا فَهَمَاهُ
وَلَمْ أَفْهَمْ مِنْهُ شَيْئًا ؛ فَقُلْتُ لَهُمَا : لَئِنْ كَانَ مَا أَنْتَما فِيهِ مِنَ الْغَنَاءِ فَمَا نَحْنُ
مِنْهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ .

شعره في الواثق

قدِمتُ^١ على الواثق في بعض قَدَماتي، فقال لي: أما اشتقتَ إلي؟
فقلتُ: بلى والله يا أمير المؤمنين؛ وأنشدته:

أشكو إلى الله بُعدي عن خليفته،
وما أعالج من سُقمٍ ومن كِبَرٍ
لا أستطيع رحيلاً، إن هَمَّمتُ به
يوماً إليه، ولا أقوى على السَّقَرِ
أنُوي الرَّحِيلَ إليه، ثم يمنعني
ما أحدث الدهرُ والأيامُ في بَصَري

داليتَه في الواثق

قال: وقد أشخصه إليه قصيدته الدالية:

صَنَّتْ سعادُ، غداةَ البَينِ، بالزادِ،
وأخلفتُك فما تُوفي ببيعادِ
ما أنسَ لا أنسَ منها، إذ تُودَّعُنَا،
والحزنُ منها، وإن لم تُبَدِّه، بادي

١ الحديث لاسحاق.

لَمَّا أَمَرْتُ بِإِشْخَاصِي إِلَيْكَ ، هَفَا
قَلْبِي ، حَنِينًا إِلَى أَهْلِي وَأَوْلَادِي

ثُمَّ اعْتَزَمْتُ ، وَلَمْ أَحْفَلِ بِبَيْتِهِمْ ،
وَطَابَتِ النَّفْسُ عَنْ فَضْلِ وَحَمَادِ

كَمْ نِعْمَةٌ لِأَبِيكَ الْخَيْرِ أَفْرَدَنِي
بِهَا ، وَعَمَّ بِأُخْرَى بَعْدَ إِفْرَادِ

فَلَوْ شُكِرْتُ أَيَادِيكُمْ وَأَنْعُمُكُمْ
لَمَّا أَحَاطَ بِهَا وَصْفِي وَتَعْدَادِي

لَأَشْكُرْكَ مَا نَاحَ الْحَمَامُ ، وَمَا
حَدَا ، عَلَى الصَّبْحِ فِي إِثْرِ الدُّجَى ، حَادِي

قال علي بن يحيى : قال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، لو قال
الحليفة لاسحاق : أحضرنى فضلًا وحمادًا ، أليس كان قد افتضح من
دمامة خلقهما وتخلّف شاهدهما ؟

الناس حمير

كتب^١ أبي إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة :
« إلى من أحاكمك والناس بيننا حمير ! »

١ الحديث لهبة الله بن إبراهيم بن المهدي .

يرقص ويغني الرشيد

كنت^١ مع الرشيد حين خرج الى الرقّة ، فدخل يوماً الى النساء ،
 وخرجت فمضيت الى تلّ عزاز^٢ ، فنزلت عند خمّارة هناك . فسقتني
 شراباً لم أر مثله حسناً وطيباً وطيب رائحة في بيت مرشوش
 وريحان غصّ ، وبرزت بنت لها كأنها خوط^٣ بان أو جدل^٤ ،
 عنان ، لم أر أحسن منها قدّاً ، ولا أسيل خدّاً ، ولا اعتق
 وجهاً ، ولا أبرع ظرفاً ، ولا أفن ظرفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا
 أتمّ تماماً ؛ فأقمت عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدر عليّ ؛ ثم
 انصرفت فذهبت بي زُسله ، فدخلت عليه وهو غضبان ؛ فلما رأيته
 خطرت في مشيتي ورقصت ، وكانت فيّ فضلة من الشكر ،
 وغنيت :

إنّ قلبي بالتّل ، تلّ عزاز ،
 عند ظبي من الظّباء الجوّازي^٥
 شادن يسكن الشّام ، وفيه ،
 مع دلّ العراق ، ظرف الجّاز

١ الحديث لاسحاق .

٢ تل عزاز : في الرقة .

٣ الخوط : الغصن الناعم .

٤ الجدل : الجبل المفتول .

٥ الجوّازي ، واحدها جازة : وهي من الظباء التي استغنت بالعشب والشجر عن الماء .

يَا لِقَوْمِي لَبِنتُ قَسًّا أَصَابَتْ
مِنْكَ صَفْوَةَ الْهَوَى ، وَلَيْسَتْ تَجَازِي
حَلَفْتُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُنْجِزَ الْوَعْدَ ،
وَلَيْسَتْ تَجُودُ بِالْأَنْجَازِ

قال إسحاق : فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَيْنَ كُنْتَ ؟
فَأَخْبَرْتُهُ .

فَضَحَكَ وَقَالَ : إِنَّ مِثْلَ هَذَا إِذَا اتَّفَقَ لَطِيبٌ ، أَعِدْ غَنَاءَكَ .
فَأَعَدْتَهُ ، فَأَعْجِبَ بِهِ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُعِيدَهُ لَيْلَةً مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ،
وَأَخَذَهُ الْمَغْنُونُونَ مِنِّي جَمِيعًا وَشَرِبْنَا إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ .

ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَصَلَّيْتُ الصُّبْحَ وَنِمْتُ ؛ فَمَا اسْتَقَرَرْنَا حَتَّى أَتَى إِلَيَّ
رَسُولُ الرَّشِيدِ فَأَمَرَنِي بِالْحُضُورِ ، فَرَكِبْتُ وَمَضَيْتُ ؛ فَلَمَّا دَخَلْتُ
وَجَدْتُ ابْنَ جَامِعٍ قَدْ طَرَحَ نَفْسَهُ يَتَمَرَّغٌ عَلَى دُكَّانٍ^١ فِي الدَّارِ لِفُكْلَبَةٍ
السُّكَّرِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرِي لِمَ دُعِينَا ؟
فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ .

قال : لَكُنِّي أَدْرِي ، دُعِينَا بِسَبَبِ نَصْرَانِيَّتِكَ ، عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا
لُعْنَةُ اللَّهِ .

فَضَحَكْتُ . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ أَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ ، فَضَحَكَ وَقَالَ :
صَدَقَ ، عُودُوا فِيهِ فَإِنِّي اسْتَقْتُ إِلَى مَا كُتِّبَ فِيهِ لَمَّا فَارَقْتُمُونِي ؛ فَعَدْنَا
فِيهِ يَوْمَنَا كُلَّهُ حَتَّى انْصَرَفْنَا .

١ الدكان هنا : المصطبة .

يرجع عن توبته

كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زيّه واحتجّر^١ من حضور دار السلطان . فبلغه أنّ المأمون وجد عليه من ذلك وتنكّر^٢، فكتب إسحاق إليه وغشّى فيه بعد ذلك :

يا بن عمّ النبيّ ! سمعاً وطاعة ،
قد خلعنا الرّداء^٣ والدُرّاعة^٤

ورجعنا الى الصّناعة ، لما
كان سُخْطُ الإمام ترك الصّناعة

وقد ذكر الغلابيّ أن هذا الشعر لأبي العتاهية ، قاله لما حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ، وذكر حبش أن هذا اللحن لابراهيم .

تعصبه للقدماء

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدّثني أبي قال :
قال لي محمد بن الحسن بن مُصعب ، وكان بصيراً بالغناء والنّغم :
لحنُ إسحاق في « تشكّي الكُميت الجري » أحسن من لحن ابن

١ احتجّر : امتنع .

٢ الدراعة : حية مشقوقة المقدم ولا تكون الا من صوف .

سُريج ، ولحنه في «يوم تُبدي لنا قُتَيْلَة» أحسن من لحن مَعْبِد ،
وذلك من أجود صنعة مَعْبِد .

قال : فأخبرتُ إِسْحاقَ بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزماني
راحلتيهما وزَعَزَعْتُهما^١ وَأَنَحْتُ^٢ بهما فما بلغتهما .

فأخبرتُ بذلك محمد بن الحسن ؛ فقال : هو والله يعلم أنه برّز
عليهما ، ولكنه لا يدع تعضّبه للقدماء .

وأخبرني جَحْظَة قال : حدّثني حمّاد بن إِسْحاق :

أن رجلاً سأل أباه فقال له : إنَّ الناس قد كثُرُوا في صوتيك :
«تَشْكِي الكُمَيْتِ الجُري» و«يوم تُبدي لنا قُتَيْلَة» ، وقالوا :
إنهما أجود من لحنِي ابن سُريج ومَعْبِد .

قال أبي : وَيَحْك ! رُمِيت في هذين الصوتين بمَعْبِد وابن سُريج
وهُمَا هُمَا ، فقرِبت ووقع القياسُ بيني وبينهما ، وعلى ذلك فقد
والله أخذتُ بزماني راحلتيهما وانتصفتُ منهما .

صنعتُه وغناؤُه

قرأت في بعض الكتب أن محمد بن الحسن ذكرَ إِسْحاقَ
الموصلي فقال :

١ زعزعهما : ساقهما سوقاً عتيقاً .

كانت صنعته 'محكمة' الأصول ، ونعمته عجيبة الترتيب ، وقسمته
 'معدلة' الأوزان ، وكان يتصرف في جميع 'بسط' الإيقاعات ، فأى
 بساط منها أراد أن يتغنى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك
 البساط لحذاق القدماء فعارضه . وقد كان يذهب مذهب الأوائل ،
 ويسلك سبيلهم ، ويقتحم 'طرقهم' ؛ فلبني على الراس فيصنعه ،
 ويحتذي على المثال فيحكمه ، فتأتي صنعته قوية وثيقة يجمع فيها
 حالتين : القوة في الطبع وسهولة المسلك ، وحنناً بين كثرة النغم
 وترتيبها في الصياح والإسجاح^١ ؛ فهي بصنعة الأوائل أشبه منها
 بصنعة المتوسطين من الطبقات ؛ فأما المتأخرون فأحسن أحوالهم أن
 يرووها فيردوها .

وكان حسن الطبع في صياحه ، حسن التلطف ، لتنزيله^٢ من
 الصياح إلى الإسجاح على ترتيب بنغم يشاكله ، حتى تعتدل وتنز
 أعجاز الشعر في القسمة بصدوره .

وكذلك أصواته كلها ، وأكثرها يبدى الصوت فيصيح فيه ،
 وذلك مذهبه في 'جل' غناؤه ؛ حتى كان كثير من المغنين يلقبونه
 الملسوع ؛ لأنه يبدأ بالصياح في أحسن نغمة فتسبح بها أحداً فاه ، ثم يرد
 نغمته فيرجعها ترجيحاً وينزلها تنزيلاً حتى يحطتها من تلك الشدة إلى

١ الإسجاح : السجع ، ترديد النغمات .

٢ لتنزيله : هكذا في الأصل ولعل الصواب لتنزله ، أي لنزوله متملاً .

ما يوازيها من اللين ، ثم يعود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شدة الى
لين ومن لين الى شدة ؛ وهذا أشد ما يأتي في الغناء وأعز ما يُعرف
من الصنعة .

قال يحيى بن علي بن يحيى ، وقد ذكر إسحاق في صدر كتابه الذي
ألف في أخباره : « وكان إسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء ، وأنفذهم
في جميع فنونه ، وأضر بهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودهم
صنعةً ، وقد تشبه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارض ابن
سُريج ومعبداً فانتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهدي ينازعه في هذه
الصناعة ولم يبلغه فيها ، ولم يكن بعد إسحاق مثله . »

يشبه صوتاً له

قال إسحاق وذكر صوته :

كان افتتاح بلائي النظر ،
فالحين سبب ذاك والقدر
قد كان باب الصبر مفتتحة ،
فاليوم أغلق بابهُ النظر

قال إسحاق : ما شئت صوتي هذا إلا بإنسان أخذ الكرة على
الطباطبة^١ وأهل الميدان جميعاً خلفه ، فلما بلغ أقصى ضربها أحجزها^٢ .

١ الطباطبة : خشبة عريضة يلعب بها بالكرة .

٢ أحجزها : جعلها محجوزة عنهم .

هو وابن معاذ والامين

أخبرني الحسن بن عليّ عن إسحاق قال :

صنعت هذا الصوت في آخر أيام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن معاذ يشرب النبيذ ؛ فلما كان في أيام محمد غنّيته فاستهواه واشتهر به ، وبعث الى يحيى بن معاذ وأنا أغنّيه :

اسقني وابن نهيك ،
وابن يحيى بن معاذ

فلما حضر يحيى غنّيت :

فاسقني واسق نهيكاً ،
واسق يحيى بن معاذ

فبعث إليه محمد فأحضره فقال : لتشربنّ أو لأعاقبنك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلّفه^١ وأمر له بمال ، وسرّ بذلك محمد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفت الى البيت ؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصرت إليه فلم يزل يستحلفني ألاّ أعود في هذا الصوت قُدّام محمد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ، ولم أعد فيه .

١ غلّفه : طيه بالطيب .

نسبة هذا الصوت

يومئذ يوم رذاذ،
واصطباح والتذاذ^١

فاسقني وابن نهيمك،
وابن يحيى بن معاذ

من كميت عتقت للشيخ
كسرى بن قباد^٢

ليس للمرء، من الهم،
سواها من ملاذ

الشعر لعلّي بن هشام .

كنت^٣ عند علي بن هشام يوماً إذ رشت السماء رشتاً وطشت^٤؛
فأنشأ علي يقول :

يومئذ يوم رذاذ،
واصطباح والتذاذ

١ الرذاذ : المطر الخفيف .

٢ الكميت : الخمر التي فيها سواد وحمرة .

٣ الحديث لأبي عبد الله الهلالي .

٤ طشت : امطرت مطراً ضعيفاً .

وذكر الأبيات الأربعة ، ثم قال لعلامه : اذهب الى أحمد بن يحيى
ابن معاذ وقل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيب ، فتعال أنت
وغلامك بُنان وعثث .

فجاء الى باب الرسول وعليه غُرْماء له ، فمنعوه الدخول عليه ؛
فقال لهم : كم لكم عليه ؟

قالوا : مائتا ألف درهم .

فرجع الغلام الى علي بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه
من الدين .

فقال له : احملْ إليه مائتي ألف درهم وجرى به وبغلاميه الساعة .
فحملها ؛ فجاء أحملُ بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعلي بن هشام :
لِمَ تَحَمَّلْتَ هذا لي ! أنا والله مُنْتَظَرٌ مَالاً يجيء فأعطيهم .
فقال له : مالي ومالك واحد .

فتغديتُ معهما حتى جاءت الحلواء ؛ فقال : أَكْثَرُ مِنَ الحلواء
فَلَسْتُ تَدْخُلُ معنا في ديواننا ، يعني الشُّرْبَ .

فأكلتُ وغسلت يدي ؛ فقال لعلامد سراج : احْمِلْ مع أبي
عبد الله الهلالي ثلاثين ألف درهم .
فانصرفتُ وهي معي .

١ يريد لماذا حملت هذا المال ودفعته عني .

ذكرى الصبا

تعشقت^١ جاريةً فقلت فيها :

هل الى أن تنام عيني سبيل ؟
إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويل !

غاب عني مَنْ لا أُسمِّي ، فعَيَّنِي ،
كلَّ يوم ، عليه حُزنًا تَسِيلُ .

قال إسحاق : ثم ملكتها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كبرتُ
واعتلَّتْ عليَّ عيناى ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيامه المتقدمة ، فما
زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولى .

حكم على لحن له

دعا المأمونُ بإسحاق فأحضِرَه ، فأمره أن يُغَنِّي في هذا الصوت :

هل إلى أن تنام عيني سبيل

فغَنَّاه ؛ وكنْتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما
عدا بلحنه معنى شعره .

١ الحديث لإسحاق .

فقال المأمون : فَإِنَّا نَرُدُّ الْحُكْمَ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ .
 فبعث إلى أبي ، يعني يحيى المكي ، فجاء به ، فخبَّره بما قلتُ وما
 قال ، وأمر إسحاق بَرْدَ الصوت فردَّه ؛ فقال يحيى : أحسن إسحاقُ
 في غنائهِ وأحسن ابني في استحسانهِ ، إلاَّ أنَّ هذا اللحنَ يحتاج
 أن يُسمَعَ من غير حَلْقِ إسحاق .
 فضحك المأمون ، وأمر لإسحاق بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله .
 قال : ولم يكن في إسحاق شيء يُعاب إلاَّ حَلْقُهُ ، وكان يغلب
 الناسَ جميعاً بطبعه وحِدْقِهِ .

سبب ضعف بصره

وأما السبب في علَّة عين إسحاق وضعف بصره فإنَّ إبراهيم ابن
 أخي سَلَمَةَ الوَصِيف نازَعَ إسحاقَ في شيء بين يدي الرشيد من
 الغناء ، فردَّ عليه ، فشتمه ، فردَّ عليه إسحاق وأرَّجى في الردِّ ؛ فقال له
 إبراهيم : أتردَّ عليَّ وأنا مولى أمير المؤمنين !
 فقال له : اسكُتْ فإنَّك من موالِي العبيدِ .
 فقال له الرشيد : وأيُّ شيء موالِي العبيدِ ؟
 قال : يا أمير المؤمنين ، يُشْتَرَى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ في
 العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحَجَّامُ والحائكُ والبائسُ ؛ فهو أحد
 هؤلاء الذين ذكرتُ .

قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه ، فلما جاز عليه مُنصرفاً
ضرب رأسه بمقرعةٍ فيها مِعْوَلٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضعف
بصر إسحاق .

وبلغ الرشيد الخبر ، فأمر بأن يُحجَبَ عنه إبراهيم ، وحلف ألا
يدخلَ عليه ؛ فدسَّ الى الرشيد من غتاه :

مَنْ لِعَبْدِ أَذْلِهِ مَوْلَاهُ ،
مَا لَهُ شَافِعٌ إِلَيْهِ سِوَاهُ

يَشْكِي مَا بِهِ إِلَيْهِ ، وَيُخْشَاهُ
وَيَرْجُوهُ مِثْلَ مَا يُخْشَاهُ

الشعر لأبي العتاهية والغناء لابراهيم ابن أخي سلمة الوصيف .

فلما غنَّى الرشيد بهذه الأبيات ، سأل عن صاحب لحنها فعُرِفَ ،
فحلف ألا يرضى عنه حتى يرضى إسحاق ؛ فقام إسحاق فقال : قد
رَضِيتُ عنه يا سيدي رضاءً حسناً ؛ وقبِلَ الأرضَ بين يديه شكراً
لما كان من قوله .

فرضي عنه وأحضِرَ وأمره بترضي إسحاق ففعل .

اسحاق وابن اخي سلمة

جاء إبراهيم ابن أخي سلمة الى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ،

١ الحديث لاسحاق .

إني أحب أن تشرّفني بأن تكون نوبتي ونوبة إسحاق الموصلي في مكان ، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان ، فإن رأيت أن تجعل ذلك كما سألت فعلت .

قال : قد فعلت .

ولم أكن حاضراً لمسألته . فلما كان يوم دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقّاً عنيفاً وعرّفني الغلام خبره ؛ فقلت له : يدخل . فأبى وقال له : قل له اخرج أنت .

فساء ظني واغتممت ، فخرجت إليه فقلت له : ما الخبر ؟

قال : إن أمير المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألا تدخل الدار إلاّ معي بعد أن أوجّه إليك فتركب إليّ وتمضي معي .

فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر ، وكنت بقيّة يومي على تلك الحال . ثم ركبت الى الفضل بن الرّبيع فشكوت ذلك إليه ؛ فقال : ما أرى أمير المؤمنين يحيلك هذا المحلّ ، قم بنا إليه .

فقمّت معه ، فدخل الى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاق وخدمته وحقوق أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهديّ تضع مقداره أن تجعله مضموماً الى إبراهيم ابن أخي سلّمة !

قال : لا والله ما فعلت هذا .

قال : إنه قد جاءني يبكي ويحلف إن جرى عليه هذا تاب من الغناء وتركه جملةً ، ثم لو قُتل لم يعدّ إليه .

فقال : ويحك ! والله ما جرى من هذا شيء ، إلا أن إبراهيم ابن
أخي سلمة جاء فقال : تشرّفني ان تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي
مع وصوله ، ففعلت ؛ فقل له : يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه
ولا كرامة .

فاخبرني فرجعت . فلمّا كانت نوبتي جاء إبراهيم إليّ ففعل مثلاً
فعله ؛ فقلت لعلامي : اخرج إليه فقل له : ولا كرامة لك لا أجيء
معدك ولا أدعك تجيء معي أيضاً ؛ وشتمته أقبح شتم .
فخرج الغلام فأدّى إليه الرسالة ؛ فعلم أن هذا لم يتجرأ عليه إلا
بعد توثق فيخجل ، فقال له : قل له : ومن أكرهك على هذا ! إنما
أحببت أن نصطحب ونتناس في طريقنا ، فإن كرهت هذا فلا
تفعله ؛ وانصرف ولم يعاودني بعدها .

يأخذ بلحيته ويبيكي

كان إسحاق إذا غشى هذا الصوت يأخذ بلحيته ويبيكي :

إذا المرء قاسى الدهرَ وابيضَ رأسه ،

وثلّم ثلّم قاسى الإناء جوانبُه^١ ،

فللموت خيرٌ من حياةٍ خسيسةٍ

تباعده طوراً ، وطوراً تقاربه

الشعر لزبان بن سيار الفزاري .

١ ثلّم الإناء : كسرت جوانبه .

المأمون والغناء

أقام^١ المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني، فكان أول من تغنى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد، ثم واطب على السماع مستتراً متشبهاً في أول أمره بالرشيد، فأقام كذلك أربع حجج، ثم ظهر إلى الندماء والمغنيين. وكان حين أحب السماع سأل عني، فجرح^٢ بحضرته، وقال الطاعن علي: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتبه على الخلافة؟

قال المأمون: ما أبقى هذا من التبه شيئاً إلا استعمله.

فأمسك عن ذكره، وجفاني من كان يصلي، لسوء رأيه الذي ظهر في. فأضر ذلك بي، حتى جاءني عكويه يوماً فقال لي: أتأذن لي في ذكرك؟ فإنا قد دُعينا اليوم.

فقلت: لا! ولكن عنته بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك: لمن هذا؟ فإذا سألك انفتح لك ما تريد، وكان الجواب أسهل عليك من الابتداء.

فقال: هات؛ فألقيت عليه لحن في شعري:

يا سرحة الماء قد سدت موارده،
أما إليك طريق غير مسدود^٣

١ الحديث لاسحاق.

٢ جرح: من جرحه سبه وشتمه.

٣ سرحة الماء: كنى بها هنا عن المرأة.

لِحائِمٍ حَامٍ ، حَتَّى لَا حِيَامَ لَهُ ،
مُحَلَّأً عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُوداً^١

قال : فَمَضَى عُلُوتِيهِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ ، غَنَّاهُ بِالشَّعْرِ الَّذِي
أَمَرْتُهُ ؛ فَمَا عَدَا الْمُأْمُونُ أَنْ يَسْمَعَ الْغَنَاءَ حَتَّى قَالَ : وَيْحَكَ يَا عُلُوتِيهِ !
لِمَنْ هَذَا ؟

قال : يَا سَيِّدِي ، لَعَبْدٍ مِنْ عِبِيدِكَ جَفَوْتَهُ وَاطَّرَحْتَهُ مِنْ
غَيْرِ جُرْمٍ .

فَقَالَ : إِسْحَاقَ تَعْنِي ؟

قال : نَعَمْ .

قال : يَحْضُرُ السَّاعَةُ .

فَجَاءَ فِي رَسُولِهِ فَصَرَتْ إِلَيْهِ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ : ادْنُ ؛ فَدَنَوْتُ ،
فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَادَّهُمَا ، فَانْكَبَيْتُ عَلَيْهِ ، وَاحْتَضَنَنِي بِيَدَيْهِ ، وَأَظْهَرَ مِنْ
بِرِّي وَإِكْرَامِي مَا لَوْ أَظْهَرَهُ صَدِيقٌ مَوَائِسَ لَصَدِيقِهِ لِبَرٍّ .

غَنَاءُ يَحْالِطُ الرُّوحَ

غَنَيْتُ^٢ الْمُعْتَصِدَ يَوْمًا وَهُوَ أَمِيرٌ صَوْتُ إِسْحَاقَ :

١ الحائِم : العطشان . حَامٍ حَوْلَ الشَّيْءِ : دَارَ حَوْلَهُ . الْمُحَلَّأُ : الْمَطْرُودُ عَنِ الْمَاءِ .

٢ الْحَدِيثُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ .

يا سرحة الماء قد سدت موارده ،
أما إليك طريق غير مسدود

فطرب واستعاده مراراً ، وقال : هذا والله الغناء الذي يُخالط
الروح ويُمازج اللحم والدم .

يتهادون صوته

لما غنى إسحاق في شعره هذا :

لأسماء رستم عفا باللوى
أقام رهيناً لطول البلى
تعاوره الدهر في صرفه
بكرّ الجديدين حتى عفا

فكان الناس يتهادونه كما يتهادون الطرفة والباكورة .

وقال أبو العُبَيْس : حدثني ابن مُخارق : أنّ الواثق بعث الى أبيه
مُخارق لما صنع إسحاق هذا الصوت ليُلقيَه عليه ، فصادفه عليلاً ،
ولم يكن أحد يلقن عن إسحاق طرُح الغناء كما يلقنه مُخارق ،
فأعاد إليه الرسول ومعه محفّة ، وقال : لا بدّ أن يجيء على كل حال .
فتعامل وصار إليه حتى أخذ الصوت عن إسحاق ورجع .

الفارس الموصلی

وذكر محمد بن الحسين الكاتب :

أنَّ إسحاق كان يتحلَّى بالشجاعة والفُروسيَّة ويحبُّ أن يُنسبَ
إليهما ، ويركب الخيل ويتعلَّم بها آفة من الآفات المغترضة على العقول .
وكان قد شهَّد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكصَ على
عقبَيْه ؛ فقال أخوه طيّاب فيه :

وَأَنْتَ تَكَلَّفْتَ مَا لَا تُطِيقُ ،
وَقُلْتَ أَنَا الْفَارِسُ الْمَوْصِلِيُّ
فَلَمَّا أَصَابَكَ نُسَابَةٌ
رَجَعْتَ إِلَى سَنِّكَ الْأَوَّلِ

اسحاق وحمزة الزيات

أخبرنا يحيى بن عليّ عن إسحاق قال :

قال حمزة الزيات القاريّ : يا موصليّ ، إنَّ لي فيك رأياً ، أفترض
مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُكَ من الآخرة فضلَ مَطْعَمٍ
على مَطْعَمٍ !

١ لعله أراد بسنك حالك ، أو انه محرف عن شأنك .

شعر فيه

أَنْ تَغْنَيْتَ لِلشَّرْبِ الْكَرَامِ « أَلَا
رَدَّ الْخَلِيطُ جَمَالَ الْحَيِّ فَانْفَرَقُوا »

وقيل أحسنت فاستدعاك ذاك الى
ما قلت ويحك! لا يذهب بك الخرق^١

وقيل انت حسان الناس كلهم ،
وابن الحسان ، فقد قالوا وقد صدقوا

فما بهذا تقوم النادبات ، ولا
يُثنى عليك ، إذا ما ضمك الخرق^٢

قال يحيى بن عليّ : إنّ هذه الأبيات تُروى لابن المنذر
العَرُوضيّ والأصمعيّ .

يهجو الأصمعي ويسقطه

قال مؤلف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر
الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلّبه وكشف للرشيّد

١ الخرق ، بفتح الحاء : الحمق وضعف الرأي .

٢ الخرق ، بكسر الحاء : واحدتها خرقة ، القطعة من الثوب ، وأراد بها هنا الكفن .

معاييه ، وأخبره بقلّة شكره وبُخله وضعة نفسه وأنّ الصّنيعة لا
تَزْكُو عنده ، ووصف له أبا عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى بالثقة والصدق
والسماحة والعلم ؛ وفعل مثل ذلك للفضل بن الربيع واستعان به ؛
ولم يزل حتى وضع مرتبة الأصمعيّ وأسقطه عندهم ، وأنفذوا الى ابي
عُبَيْدَةَ مَنْ أقدّمه .

أنشدت^١ الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في
صفة فرس :

كانه في الجُلّ ، وهو سامي ،

مُشْتَمِلٌ جاء من الحَمَامِ^٢

يسور ، بين السّرج واللّجام ،

سَوْرَ القَطاميّ الى اليمامِ^٣

قال : ودخل الأصمعيّ فسمعني أنشدّها ، فقال : هاتِ بقيّتها .

فقلت له : ألم تقل إنه لم يبقَ منها شيء ؟

فقال : ما بقي منها إلاّ عيونها .

ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاضني فعله ؛ فلمّا
خرج عرفت الفضل بن الربيع قلّة شكره لعارفة ؛ وبخله بما عنده ؛

١ الحديث لاسحاق .

٢ الجلّ للدابة : كالثوب للانسان تصان به . المشتمل : المتلف بنوبه .

٣ يسور : يشب ويثور . القطامي : الصقر .

٤ العارفة : المعروف .

ووصفت له فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته وبذله
لما عنده واشتاله على جميع علوم العرب ، ورغبته فيه ، حتى أنفذ
إليه مالا جليلا واستقدمه ؛ فكننت سبب بحبته به من البصرة .

الأصمعي القرد

أخبرني عمي عن إسحاق قال :

جاء عطاء المذك بجماعة من أهل البصرة الى قرئب أبي الأصمعي ،
وكان نذلا من الرجال ، فوجدته ملتقا في كسائه نائما في الشمس ،
فركضه^١ برجله وصاح به : يا قرئب ، قم ويلك ! فقال له : هل
لقيت أحدا من أهل العلم قط أو من أهل اللغة أو من العرب أو من
الفقهاء أو من المحدثين ؟

قال : لا والله .

قال : ولا سمعت شيئا ترويه لنا أو تئشدها أو نكتبه عنك ؟

قال : لا والله .

فقال لمن حضر : هذا أبو الأصمعي ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما
سمعت منه ، لا يقل لكم غدا أو بعده : حدثني أبي أو أنشدني
أبي ؛ ففضحه .

١ ركضه : لبطه .

قال الفضل^١ : ثم مرض الأصمعي ، وكانت الحال بينه وبين إسحاق الموصلي انفرجت ؛ فعاده أبو ربيعة ، وكان يرغب في الأدب ويَسْبِرُ أهله ؛ فقال له الأصمعي : أقرضني خمسة آلاف درهم .

فقال : أفعل ؛ فقال له أبو ربيعة : فأني شيء تشتهي سوى هذا ؟ فقال : أشتهي أن تهدي إلي فصاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبرداً حسناً وسرجاً محملي .

فقال : أفعل ؛ وبعث بذلك إليه لما عاد الى منزله . وبلغ ذلك إسحاق فقال :

أليس من العجائب أن قِرْداً
أَصْنَعَ ، باهلياً ، يستطيلُ

ويزعم أنه قد كان يُفني
أبا عمرو ، ويسأله الخليل^٢

إذا ما قال : قال أبي عجبنا
لما يأتي به ، ولما يقولُ

وما إن كان يدري ما دبِيرُ
أبوه ، إن سألت ، وما قبيل^٣

١ هو الفضل اليزيدي .

٢ أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء أحد أئمة اللغة والأدب . الخليل : هو الخليل بن أحمد اللغوي النحوي الذي وضع علم العروض .

٣ لا يعرف دبيره من قبيله : لا يعرف ما خلفه وم امامه .

وجكّله عطاءُ الملك عاراً ،
تزول الراسيات ولا يزول

نصحت أبا ربيعة فيه جهدي ،
وبعض النصيح أحياناً ثقیل

فقل لأبي ربيعة ، إذ عصاني ،
وجار به عن القصد السبيل

لقد ضاعت برودك فاحتسبها ،
وضاع القصّ والسيف الصقيل^١

وسرج كان للبرذون زيناً ،
له في إثره ، جزعاً ، صهيل

وأما الخمسة الآلاف ، فاعلم
بأنك غبتها لا تستقيل^٢

وأن قضاءها ، فتعز عنها ،
سيأتي دونه زمن طویل

١ احتسبها : عدها اجراً عند الله .

٢ الغبن : الخسارة .

وصيفة الواثق

كنت^١ جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد ، إذ خرجت
وصيفة^٢ من القصر كأنها تُخطُ بانٍ ، أحسنُ مَنْ رَأَتْهُ عيني قطُّ ،
تَقْدُمُ عِدَّةً وصائفَ بأيديهن المَذابُ^٣ والمناديل ونحو ذلك ، فنظرتُ
إليها نَظَرَ دَهِشٍ وهو يَرمُقُنِي . فلمّا تبيّن إلحاح نظري قال :
ما لك يا أبا محمد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ فيك ! فتلجلجتُ .
فقال لي : رمتك والله هذه الوصفةُ فأصابت قلبك !

فقلت : غيرُ مَعلوم .

فضحك ثم قال : أنشدني في هذا المعنى ؛ فأنشدته قول المَرَّار^٤ :

أَلَكْنِي إِلَيْهَا ، عَمَرَكَ اللَّهُ يَا فَتَى !
بِآيَةٍ مَا قَالَتْ مَتَى هُوَ رَائِحٌ

وَآيَةٍ مَا قَالَتْ لَهْنٌ عَشِيَّةً ،
وَفِي السَّتْرِ حُرَّاتُ الْوُجُوهِ مَلَانِحُ

١ الحديث لاسحاق .

٢ المَذاب : جمع مَذْبَة وهي ما يذب به كالمروحة .

٣ هو المَرَّار بن سعيد الفقعسي .

٤ الكني إليها : تحمل إليها رسالتي وبلغها عني . الآية : العلامة .

تَخَيَّرْنَ أَرْمَاكُنَّ ، فارمين رميةً
أخا أسدٍ ، إذ طرَّحتَه الطوارحُ^١

فلَبَّسْنَ مِسْلَاسَ الوِشَاحِ كأنها
مَهَاةٌ لها طِفْلٌ بَرُمَانٌ رَاشِحٌ^٢

فقال له الواصل : أحسنتَ بحياتي وظهرتَ ، اصنع فيها لحناً ؛ فإن
جاء كما نريد وأطربنا فالوصيفةُ لك .
فصنعتُ فيها لحناً وغنَّيته إِيَّاهُ ، فاصطبج عليه وشرب بقيَّةَ يومه
وليلته حتى سكر ولم يقترح عليَّ غيره ، وانصرفت بالجارية .

الواصل خاثر النفس

حدَّثني عمِّي عن إسحاق قال :

دخلت على الواصل يوماً وهو خاثر النفس^٣ ، فأخذتُ عوداً من
الحزانة ووقفتُ بين يديه فغنَّيته :

من الأطباءِ طبَّاءُ هُمُّها السُّخْبُ ،
ترعى القلوبَ ، وفي قلبي لها عُشْبُ

١ طرحتَه الطوارح : رمته وقذفته القاذفات ، الحوادث .

٢ مِسْلَاسُ الوِشَاح : ليلته كناية عن ضَمُورِ خصرها . رَمَان : قصر بنواحي واسط . الراشح :
الصغير إذا قوي ومشى مع امه وسعى خلفها .

٣ خاثر النفس : ثقلها غير طيب ولا نشيط .

أهوى الظباء ، اللواتي لا قرون لها ،
وحليها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ
لا يَغْتَرِبْنَ ، ولا يَسْكُنُ باديةً ،
وليس يَعْرِفْنَ ما صَرَّ ولا حَلَبُ

وفي الذين غَدَوْا ، نفسي الفداء لهم ،
شمسُ تَبْرَقَعُ أحياناً وتَنْقَبُ

يا حُسْنُ ما سَرَقْتَ عيني ، وما انتهيت ؛
والعينُ تَسْرِقُ أحياناً وتَنْتَهَبُ

إذا يَدُ سَرَقَتْ ، فالقطعُ يلزمها ؛
والقطعُ في سَرَقِ العينين لا يجبُ

قال : فَهَشَّ إِلَيَّ ونَشِطَ ودعا بطعام خفيف وأكلنا واصطبح وأمر
لي بمائة ألف درهم .

الموصلي والممون

كان إسحاق الموصلي يدخل في مُبْطَنَةِ وَطَيْلَسَانَ مثل زِيَّ
الفقهاء على المأمون ؛ فسأله أن يأذن له في دخول المقصورة يوم الجمعة
بدُرْاعة سوداء وَطَيْلَسَانَ أسود ؛ فتبسَّم المأمون وقال له : ولا كلَّ
هذا بمرَّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منك هذه المسألة بمائة ألف
درهم حتى لا تَغْتَمَّ ؛ وأمر بحملها اليه فحُمِلَتْ .

يفضله ويعظمه

حدثني جعفر بن قدامة عن أبي خالد الأسلمي :
 أنه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضلُه ويعظمُ شأنه ويقدمُه في الشعر
 تقديمًا مفرطًا ، فقال : ما قولكم في رجل محدث تشبَّه بذي الرُّمَّة
 وقال على لسانه شعراً وغشى فيه ونسبَه إليه ، فلم يشكك أحدٌ سمعه
 أنه له ولا قَطينَ لما فعل أحدٌ إلا من حَصَلَ شعر ذِي الرُّمَّة كله ورواه .
 فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال :

ومدْرَجَةٌ للريح تيهاء لم تكن
 ليَجْشَمَهَا زَمْيَلَةٌ غيرُ حازمٍ^١
 يضلُّ بها الساري ، وإن كان هادياً ،
 وتَقْطَعُ أنفاسَ الرياحِ النواسمِ
 تَعَسَّفْتُ أَفْزِي جَوْزَهَا بِشِمْلَةٍ^٢ ،
 بعيدةٍ ما بين القرا والمناسمِ^٣
 كأنَّ شِرَارَ المَرَوِ ، من تَبَذَّها به ،
 نجومٌ هَوَّتْ ، أخرى الليالي العواتمِ^٣

١ المدرجة : الطريق . التيهاء : المفازة التي لا يهتدى فيها . الزميلة : الضعيف الجبان .
 ٢ جوزها : وسطها ومعظمها . الشملة : الناقة السريعة . القرا : الظهر . المناسم : الأخفاف .
 ٣ المرو : حجارة بيض رفاق براق . نبذها به : قذفها له بمناسمها .

الفراغ والشباب والجدّة

حدّثني عمّي عن إسحاق قال :

غنّيتُ المأمون يوماً هذين البيتين :

لأحسنُ من قرعِ المثاني ورجعِها ،
تَوَاتُرَ صوتِ الثغر يُقرَعُ بالثغرِ

وسكرُ الهوى أروى لعظمي ومفصلي ،
من الشرب في الكاسات من عاتقِ الحمرِ

فقال لي المأمون : ألا أخبرك بأطيبَ من ذلك وأحسن ؟ الفراغُ
والشباب والجدّة .

يعتق غلامه

كان لإسحاق غلام يقال له فَتْحُ ، يَسْتَقِي الماءَ لأهل داره على بغلين
من بغاله دائماً ؛ فقال إسحاق : قلت له يوماً : أيُّ شيءٍ خبرُك يا فتح ؟
قال : خبري أنه ليس في هذه الدار أحدٌ أشقى منّي ومنك .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : أنت تُطعم أهل الدار الحُبْزَ وأنا أسقيهم الماءَ .

فاستظرفتُ قوله وضحكتُ منه ثم قلت له : فأَيُّ شيءٍ تحبُّ ؟

قال : تُعتقني وتَهَبَ لي البغلين أسقي عليهما .

فقلت له : قد فعلت .

جنون أبي البصير

كان^١ لأبي البصير الشاعر قيان^٢، وكان يتكلم في الغناء بغير علم ولا صواب فيضحك منه، فقال أبي فيه :

سكتُ عن الغناء فما أماري
بصيراً، لا ولا غيرَ البصيرِ

مخافة أن أُجننَ فيه نفسي،
كما قد جُنَّ فيه أبو البصير

الرشيد ينهاء

نهاني^٢ الرشيدُ ان أغني أحداً غيره، ثم استوهبني جعفر بن يحيى
وسأله أن يأذن لي في أن أغنيه ففعل، واتفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى
وعنده أخوه الفضل، والرشيد يومئذ بعقب علة قد عوفي منها وليس
يشرب؛ فقال لي الفضل : انصرف إلي الليلة حتى أهب لك مائة
ألف درهم.

فقلت له : إن الرشيد قد نهاني ألا أغني إلا له أو لأخيك، وليس

١ الحديث لحماذ بن اسحاق .

٢ الحديث لاسحاق .

يخفي عليه خبري ، وأنا متهم عنده بالميل إليكم ، ولست أتعرض له
ولا أعرضك ، ولم أجبه .

فلما نكبهم الرشيد قال : إيه يا إسحاق ، تركتني بالرقعة وجلست
ببغداد تغني للفضل بن يحيى !

فحلفت بحياته أني ما جالسته قط إلا على المذاكرة والحديث ،
وأنه ما سمعني قط أغني إلا عند أخيه جعفر ، وحلفت بتوبة المهدي
أن يسأل عن هذا جميع من في الدار من نسائه .

فسأل عنه فحدثته بمثل ما ذكرته له ، وعرف خبر المائة ألف
الدرهم التي بذلها لي فرددتها عليه . فلما دخلت عليه ضحك إلي ثم قال :
قد سألت عن أمرك فعرفت منه مثل ما عرفتني ، وقد أمرت لك بمائة
ألف درهم عوضاً مما بذله لك الفضل .

المرسلات عرفاً

حدثني الصولي عن إسحاق أنه كان يقول : الإسناد قيد الحديث ؛
فتحدث مرةً بحديث لا إسناد له ، فسئل عن إسناده ، فقال : هذا
من المرسلات عرفاً .

شعر في البرامكة

حدثني الصولي عن إسحاق قال :

أنشدتُ الفضل بن يحيى قولَ أبي الحَجَناءِ نُصَيْبٍ مولى
المهديِّ فيهم :

عند الملوِكِ مَضَرَّةٌ ومَنافعُ ،
وأرى البرامِكَ لا تَضُرُّ ، وتنفعُ

إنْ كانَ شرٌّ كانَ غيرهم له ؛
أو كانَ خيرٌ ، فهو فيهم أجمعُ

إنَّ العروقَ ، إذا استسرَّ بها الثرى ،
أشَرَ النَّباتُ بها ، وطابَ المزرَعُ^١

فإذا جَهَلتَ من امرئٍ أعراقه
وقديمه ، فانظر الى ما يصنع

قال فقال : كأننا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ ، قد كنا وصلناه
بثلاثين ألف درهم ، وإذا نُجِدَّ له الساعة صِلَةٌ له ولك معه لحفظك
الأبيات .

فوصلنا بثلاثين ألف درهم .

يسترضي المأمون بشعر

وأخبرني الصُّولي قال : حدَّثني الحسن بن يحيى الكاتب أبو الجَمَّاز قال :

١ استسر : خفي . أشَرَ النَّبات : مرج وطال .

عَتَبَ المأمونُ على إسحاق في شيء ؛ فكتب إليه رقعةً وأوصلها
إليه من يده ؛ ففتحها المأمون فاذا فيها قوله :

لا شيءَ أعظمُ من جُرْمي ، سوى أُملي
لحسن عفوِكَ عن ذنبي وعن زَلْلي

فإن يكن ذا وذا في القَدْر قد عَظُما ،
فأنتَ أعظم من جُرْمي ومن أُملي

فضحك ثم قال : يا إسحاق ، عذرك أعلى قدراً من جُرمك ، وما
جال بفكرِي ، ولا أخطِرتُه بعد انقضائه على ذكري .

صباح عند الواثق

خرجنا^١ مع الواثق إلى القاطول^٢ للصيد ، ومعنا جماعة الجلساء
والمغنين وفيهم عمرو بن بانة وعلتويه ومُخارق وعقيد ، وقدم إسحاقُ
في ذلك الوقت فأخرجه معه ؛ فتصيّد على القاطول ثم عاد فأكل وشرب
أقداحاً ، ثم أمر بالبُكور إلى الصُّبوح فباكرنا واصطبَحْنَا . فغنى عمرو
ابن بانة لحن إبراهيم الموصلي :

١ الحديث ليزيد بن محمد المهلب .

٢ القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة في الجانب الشرقي ، حفره كسرى أنوشروان العادل .
وهو أيضاً اسم نهر آخر حفره الرشيد في موضع سر من رأى قبل أن يعمرها المعتصم ،
وكان يأخذ كذلك من دجلة .

بلوتُ أمورَ الناسِ طرّاً ، فأصبحتُ
مُدمِمةً عندي ، برأءٌ من الحمدِ

وأصبح عندي من وثقتُ بغيبه
بغيضِ الأيادي ، كلُّ إحسانه نكدٌ^١

فغنتاه على ما أخذه من إبراهيم بن المهدي وقد غيَّره .

فقال الواصل لاسحاق : أتعرف هذا اللحن ؟

فقال : نعم ، هذا لحنُ أبي ولكنه بما زعم إبراهيم بن المهدي أنَّه
جَنَدَرُهُ وأصلحه فأفسده ودمرَ عليه^٢ .

فقال له : غتّه أنت .

فغنتاه فأثني به على حقيقته واستحسنه الواصل جداً ؛ فغمّ ذلك عمرو
ابن بانة فقال لاسحاق : أفأنت مثل إبراهيم بن المهدي حتى تقول هذا فيه !
قال : لا والله ما أنا مثله ، أما على الحقيقة فأنا عبده وعبدُ أبيه ،
وليس هذا بما نحن فيه ؛ وأما الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ! ما
أحسنْتَ قطُّ أن تأخذ فضلاً عن أن تغتني ، ولا قمتَ بأداءِ غناءٍ فضلاً
عن أن تميّزَ بين المحسنين ؛ وإلا فغنّ أيّ صوتٍ شئتَ بما أخذته
عنه وعن غيره كائناً مَنْ كان ، فإن لم أوضح لك ولمن حضر أنه لا
يسلم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفسادِ صنعةٍ فدمي به رهن .

١ النكد : قلة العطاء . وفي البيت اقواء .

٢ يقال : دمر عليه إذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشر .

فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ في القول ؛ فأمضته الوائق وشتّمه
وأمر بإقامته عن مجلسه فأقيم . فلما كان من الغد دخل إسحاقُ على
الوائق فأنشده :

ومجلسٌ باكرتُهُ بُكورا ،
والطيورُ ما فارقتِ الوُكورا

والصبحُ لم يستنطقِ العُصفورا
على غديرٍ لم يكن دُعُورا^١

لم ترَ عيني مثله غديرا ،
يجري حبابُ مائه مسجُورا^٢

على حصيٍّ تحسبه كافورا ،
تسمع للماء به خريرا

ينسجُ أعلى متنيه ، سطورا ،
نسيمُ ريحٍ ، قد وُنت فتورا

حتى تحالَ متنه حصيرا ؛
والشربُ قد حفّوا به حضورا

١ الدعثور : الخوض المتلثم .
٢ المسجور : المنظوم المسترسل .

وأمروا الساقى أن يُديرا
 كأسهم الأصغر والكبيرا
 وأعملوا السِّمَّ معاً والزَّيرا،
 وجاوبت عيدانهم زَميرا
 وقرَّبوا المُغَنِّي النَّحْريرا،
 مُقَدِّمًا في حَذْقِه، مشهورا
 فهم يطرون به سرورا
 ولا ترى في شربهم تقصيرا
 ولا لصفو عيشهم تكديرا،
 ولا خلُقٍ منهم نظيرا
 إلا رَجَبًا منهم سَكيرا،
 مُعَرَّبِدًا، مُوَضَّحًا، شَريرا
 مُدْعِيًا للعلم، مستعيرا،
 يروم سعيًا كاذبًا، مغرورا
 وأن يكون عالمًا بصيرا،
 مُفَضَّلًا بعلمه، مذكورا

١ الزمير : الغناء بنفتح القصب .

عَمَزَتْهُ ولم يكن صبوراً ،
فعاذ مني هارباً مدعوراً

بِعَشْرِ تَحَسُّبُهُمْ حَمِيرَا
أَشَدَّ مِنْهُمْ حُمُقًا كَثِيرَا

لا يَنْطِقُونَ الدَّهْرَ إِلَّا زُورًا ؛
حَتَّى إِذَا كَسَّرَتْهُ تَكْسِيرَا

كَالْبَيْتِ لَمَّا ضَغَمَ الْخَنَزِيرَا ،
وَلَّى أَنْهَازًا خَاسِرًا ، مَدْحُورَا

مَعْتَرِفًا بِذُلِّهِ ، مَقْهُورَا ؛
وَكُنْتُ قَدَمًا ضَيْغَمًا هَصُورَا

مَعْتَلِبًا لِقِرْنِهِ ، عَقُورَا ؛
وَمَا أَخَافُ الزَّمَنَ الْعَثُورَا

إِذْ كُنْتُ بِالْوَاتِقِ مُسْتَجِيرَا ،
قَدْ عَزَّ مَنْ كَانَ لَهُ نَصِيرَا

إِمَامُ عَدْلٍ دَبَّرَ الْأُمُورَا
بِرَأْيِهِ ، وَلَمْ يُرِدْ مُشِيرَا

١ ضغمه : عضه ملء فيه .

ترى من الحق عليه نورا،
 تقبل المهدي والمنصورا^١
 وجدّه الأدنى تُقَى وخيرا؛
 ورثه المعتصم التدبيرا
 فأصبح الملك به منيرا،
 وأصبح العدل به منشورا
 فدأمن الناس به المحظورا؛
 إذا علا المنبر والسريرا
 رأيت بدراً طالعا منيرا،
 بجراً؛ ترى الغني والفقيرا
 يرجون منه نائلاً غزيرا؛
 والله لا زلت له شكورا
 لا جاحد النعمى ولا كفورا؛
 وكنت بالشكر له جديرا

أشعار في الفروسية

أنشدني^٢ الأصمعي قول الأعشى :

١ تقبل : أشبه .

٢ الحديث لاسحاق .

إن تركبوا ، فركوب الخيل عادتُنا ؛
أو تنزلون فإننا معشرٌ نزلُ

ثم قلتُ له : أي شيء تحفظ في هذا المعنى ؟ وكان مع بخله بالعلم
لا يبخل بمثل هذا ، فأنشدني لربيعة بن مقروم الضَّبيّ :

ولقد شهدتُ الخيلَ ، يوم طرادِها ،
بسليمٍ أوظفَ القوائمَ هيكلِ^١

فدعوا نزالَ ، فكنت أوّلَ نازل ؛
وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ^٢

يعجبه غناء ملاحظ

اجتمعنا^٣ يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل محمد بن الحارث بن
بُسَخشَر ، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصليّ وعندنا ملاحظٌ تُغنيّنا ،
وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم
ومن عندكم ؟
فأخبرناه بخبرها .

١ شهدت الخيل : أي شهدت فرسان الخيل . الطراد : حمل الفرسان بعضهم على بعض .
بسليم : أي بفرس سليم . الأوظفة ، واحدها وظيف : ما فوق الحافر من الفرس .
الهيكل : الضخم .

٢ نزال : انزل ، معدول من المنازلة ، المقاتلة .

٣ الحديث لعبد الله بن الربيع .

فقال : لا تُعرفوها من أنا فيُخرجها التصنع لي والتحفظ منّي
عن طبعها ، ولكن دعوها وهواها حتى نلتفع بها .
وخرجت وهي لا تعرفه وجلست كما كانت أولاً ، وابتدأت
وغنت ، والصنعة لفليح بن أبي العوّراء . هكذا أخبرنا إسحاق أن
الغناء لفليح :

إني تعلقْتُ ظيياً شادناً خرقاً ؛
علَّقته شقوةً منّي ، وما علّقاً

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والى بين خمسة أقداح من نبيذ
شديد كان بين يديه وهو يستعدها ؛ فأخذ إسحاق دواة وكتب :

سأشرب ما دامت تغني ملاحظ ،
وإن كان لي في الشيب ، عن ذاك ، واعظ

ملاحظ غنينا بعيشك ، وليكن
عليك لما استحفظته منك حافظ

فأقسم ما غنى غناءك مُحسِن ،
ولم يلفظ كلفظك لافظ

وفي بعض هذا القول منّي مساءة ،
وغيظ شديد للمغنين غائط

الرشيدي زجره

قال لي^١ الرشيدي يوماً : بأي شيء يتحدث الناس ؟
قلت : يتحدثون بأنك تقبض على البرامكة وتولي الفضل بن
الربيع الوزارة .

فغضب وصاح بي : وما أنت وذاك ويملك !
فأمسكت . فلما كان بعد أيام دعا بنا ؛ فكان أول شيء غنّيته :

إذا نحن صدقناك ،
فضرّ عندك الصدقُ

طلبنا النفعَ بالباطلِ ،
إذ لم ينفع الحقُّ

فلو قدّم صبّاً ، في
هواه ، الصبرُ والرفقُ

لقدّمتُ على الناس ،
ولكنّ الهوى رزقُ

وقيل : ان الشعر لأبي العتاهية .

قال : فضحك الرشيدي وقال لي : يا إسحاق ، قد صرتَ حقوداً .

١ الحديث لإسحاق .

في مجلس المعتصم

ودخلتُ على المعتصم يوماً بسرٍّ مَنْ رأى ، فإذا الواثقُ بين يديه
وعنده علكويه ومُخارقٌ ؛ فغناه مخارق صوتاً فلم ينشط له ، ثم غناه
علكويه فأطربه . فلما رأيتُ طربه لغناه علكويه دون غناء مُخارق
اندفعتُ فغنيته لحني :

تَجَنَّبْتُ ليلي أن يَلِجَ بك الهوى ؛
وهياتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لي بألف دينار وعلكويه بخمسمائة دينار ، ولم يأمر لمخارق بشيء .

نسبة هذا الصوت

تَجَنَّبْتُ ليلي أن يَلِجَ بك الهوى ؛
وهياتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

ألاَ إنما غادرتِ ، يا أمَّ مالكِ ،
صدى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ

الشعر للمجنون .

وغنى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا
من هذا الشعر ، والبيتان المضافان :

بَرَى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومنكبي ،
هوَّى لسليمي في الفؤاد المعذبِ

وإني سعيدٌ أنْ رأتُ لكِ ، مرّةً
من الدهر ، عيني منزلاً في بني أبي

غناء بلحن اسحاق

غنى علّويه بين يدي الواثق يوماً :

خليلٌ لي سأهجرُهُ
لذنبٍ لستُ أذكرُهُ

ولكنني سأزعاه ،
وأكتمه وأسترُهُ

وأظهرُ أنني راضٍ ،
وأسكتُ لا أخبرُهُ

لكي لا يعلم الواشي
بما عندي ، فأكسرُهُ

الشعر والغناء لاسحاق .

فطرب الواثقُ طرباً شديداً ، واستحسن اللحن ، وأمر لعلّويه
بألف دينار ؛ ثم قال : أهذا اللحنُ لك ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين ، هو لهذا الهزبر ، يعني إسحاق ، وكان
إسحاق حاضراً ، فضحك الواصل وقال : قد ظلمناه إذاً ؛ وأمر لإسحاق
بثلاثين ألف درهم .

يعارض ابن سريج

كان إسحاق عند الفتح بن الحجاج الكرخي وعلويه حاضراً ،
فغناه علويه :

علقتك ناشئاً ، حتى
رأيت الرأس مبيضاً

على يسرٍ وإعسارٍ
وفيض نوالكم فيضاً

ألا أحجب بأرض كنت
تحتلئنها ، أرضاً

وأهلك حبذا ما هم ،
وإن أبدوا لي البغضا

الشعر لابن أذينة ، والغناء لابن سريج .

فغناه إياه في الثقل ، ثم غناه هزجاً ؛ فقال له الفتح : لمن الثقل ؟
فقال : لابن سريج .

قال : فلمن الهزج ؟

قال : لهذا الهزْبَرِ ، يعني إسحاق .
 فقال له الفتح : وَيْلَكَ يَا إِسْحَاقُ ! أَتُعَارِضُ ثَقِيلَ ابْنِ سُرَيْجٍ
 هَزَجِيكَ ؟
 قال : فقبض إسحاق على لحيته ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتني إلا
 بتحريكه الذَّقَنَ .

يصوب قول المعتصم

دخلت^١ يوماً على المعتصم وعنده إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ،
 واستدنا في فदनوت منه ، واستدنا في فتوقفت خوفاً من أن أكون
 موازياً في المجلس لإسحاق بن إبراهيم ؛ ففطن المعتصم فقال : إن
 إسحاق لكريم ، وإنك لم تستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه .
 ثم تحدثنا وأفضت بنا المذاكرة إلى قول أبي خراش الهذلي :

حميت إلهي ، بعد عروة ، إذ نجا
 خراش^٢ ، وبعض الشر أهون من بعض

فأنشدها المعتصم إلى آخرها ، وأنشد فيها :

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ،
 سوى أنه قد حط عن ماجد محض^٢

١ الحديث لإسحاق .

٢ البينان من قصيدة لابي خراش الهذلي يرثي بها اخاه عروة بن مرة ويذكر نجاته خراش ابنه .

والرواية « قد بُزَّ عن ماجدٍ محض » ؛ فغلطتْ وأسأتْ الأدب ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه رواية الكتاب وما أخذت عن المعلم ؛
والصحيح « بُزَّ عن ماجدٍ محض » .

فقال لي : نعم صدقتْ ؛ وغمزني بعينه ، يحذّرني من إسحاق .
وفطنتْ لغلطي فأمسكتْ ، وعلمتْ أنه قد أشفق عليّ من بادرة تبدر
من إسحاق ؛ لانه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعْظِمَ
عقوبته ويُطِيلَ جلوسه كائناً من كان ؛ فنبتّهني ، رحمه الله ، على ذلك
حتى أمسكتْ وتنبّهت .

الهرج القديم

قال عمرو بن بانه :

كنّا عند المأمون ، فقال : ما أقلُّ الهرج في الغناء القديم !

وقال إسحاق : ما أكثره !

ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتاً في الهرج القديم . فقلت لأصحابي :
هذا الذي تزعمون أنه قليل الرواية !

إسحاق الماكر

أخبرنا يحيى عن إسحاق قال :

قال لي العباس بن جرير : قاتلك الله ! مذكّرٌ فِطْنَةٍ ، ومؤنّثٌ
طبيعة ، ما أمكرك !

ينشد الأعراب شعره

حدثنا يحيى بن علي عن إسحاق قال :

أنشدت بعض الأعراب :

أَجَرَتْ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ ،
لَمَّا جَرَى لَكَ سَانِحٌ بِفِرَاقٍ ؟

إِنَّ الظَّعَائِنَ ، يَوْمَ نَاصِفَةِ اللَّوَى ،
هَاجَتْ عَلَيْكَ صَابِغَةَ الْمُشْتَاقِ ١

لَمْ أُنْسَ ، إِذَ الْمَحْنَنَا ، فِي رِقْبَةٍ
مَنْهَنٍ ، بَيْضَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقٍ ٢

وَأَشْرَنَ ، إِذَ وَدَّعْنَنَا ، بِأَنَامِلٍ
حُمُرٍ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ رِفَاقٍ ٣

وَرَمَتْكَ هَنْدٌ ، يَوْمَ ذَاكَ ، فَأَقْصَدَتْ ،
بَأَغْرٍ عَذْبٍ بَارِدٍ بَرَّاقٍ ٤

١ الناصفة : مجرى الماء .

٢ الترائب ، واحدها تريبة : عظام الصدر . التراقي ، واحدها ترقوة : مقدم الحلق في

أعلى الصدر .

٣ الهداب : الخيوط التي تبقى في طرفي الثوب من عرضيه دون حاشيته . الدمقس : الحرير .

٤ أقصدت : أصابت ولم تخطئ .

وتنفّست ، لما رأتك ، صبايةً ،
نفساً تصعدُ في حشَى خفّاق

ولقد حذرتُ ، فما نجوتُ مُسلّماً ،
حتى صرّعتُ مصارعَ العشّاق

إنّ الخلافة أثبتتُ أوتادها ،
لما تحملها أبو إسحاق

ملكٌ أغرُّ يلوح ، فوقَ جبينه ،
نورُ الخلافة ، ساطعَ الإشرّاق

كُسيّ الجلالَ مع الجمال ، وزانه
هدْيُ الثّقى ، ومكارمُ الأخلاق

صحّتُ عُروقتُك في الجياد ، وإنما
يجري الجوادُ بصحّة الأعراق

ذخّر الملوكُ ، فكان أكثرُ ذخّرهم ،
للملك ، ما جمعوا من الأوراق

وذخّرتُ أبناءَ الحروب ، كأنهم
أسدُ العرينِ ، على مُتونِ عتاق

كم من كريمةٍ مَعَشَرٍ ، قد أنكِحتُ
بسيوفهم قَسْرًا ، بغيرِ صَداقِ

وعزِيزَةٍ في أَهْلِهَا وقَطِينِهَا ،
قد فارقتُ بَعْلًا بغيرِ طلاقٍ

قال فقال لي : أَفَلَيْتَ والله يا أبا محمد .

فقلت له : وما أَفَلَيْتَ ؟

قال : رَعَيْتَ فَلَاةً لم يرعها أحدٌ غيرك .

المغنون يتلاشون أمامه

أخبرنا يحيى بن عليّ عن عافية بن شبيب قال :

قلت لزُرْزور بن سعيد : حدّثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا
حضر معكم عند الخليفة ، وهو منقطعٌ ذاهبٌ ، وحلوقكم ليس مثلها
في الدنيا ؟

فقال : كان والله لا يزال بحذقه ورفقه وتأتّيه ولطفه حتى نصيرَ
معه أَقْلًا من التراب .

١ قطينها : اماؤها وحشما .

شعره في الشيب

دخلت^١ على الفضل بن الربيع فقال لي : يا إسحاق ، كثر
والله شيبك !

فقلت : أنا وذاك أصلحك الله كما قال أخو ثقيف :

الشيبُ إن يَظْهَرُ ، فإن وراءه
عُمرًا يكون خِلالَهُ مُتَنَفِّسُ
لم يَنْتَقِصْ مِنِّي المَشِيبُ قُلَامَةً ،
ولَنَحْنُ حِينَ بَدَأَ أَلْبُ وَأَكِيسُ^٢

قال : هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً ، أكتبُهما لي لأتسلَّى بهما .

يتكهنون عن غائب

ذكر^٣ المعتصم يوماً بعض أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالوا حتى
نقول ما يصنع في هذا الوقت ؛ فقال قوم : يلعب بالترد ؛ وقال قوم :
يغني ؛ فبلغتني النبوة ، فقال : قل يا إسحاق .

١ الحديث لإسحاق .

٢ ألب : أكثر لباً ، عقلاً . أكيس : أكثر كياسة ، ظرماً .

٣ الحديث لإسحاق .

قلت : إذا أقول وأصيب .
 قال : أتعلم الغيب ؟
 قلت : لا ، ولكنني أفهم ما يصنع وأقدر على معرفته .
 قال : فان لم تُصِبْ ؟
 قلت : فان أصبت ؟
 قال : لك حُكْمُكَ ، وان لم تُصِبْ ؟
 قلت : لك دمي .
 قال : وجَبَ .
 قلت : وجَبَ .
 قال : فقل .
 قلت : يتنفس .
 قال : فان كان ميتاً ؟
 قلت : تُحفظ الساعة التي تكلمتُ فيها ، فان كان مات فيها أو
 قبلها فقد قَمَرْتَنِي .
 فقال : قد أنصفت .
 قلت : فالحكم .
 قال : احتكم ما شئت .
 قلت : ما حُكْمِي إلا رضاك يا أمير المؤمنين .
 قال : فان رضاي لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ،
 أترى مزيداً ؟

فقلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين .
قال : فانها مائتا ألف درهم ، أترى مزيداً ؟
قلت : ما أحوجني الى ذلك يا أمير المؤمنين .
قال : فانها ثلثمائة ألف ، أترى مزيداً ؟
قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين .
قال : يا صفيق الوجه ! ما تزيدك على هذا شيئاً .

سفينة محمد المخلوع

عمل محمد المخلوع^١ سفينةً فأعجب بها ، وركب فيها يريد الأنبار .
فلما أمعن وأنا مقبلٌ على بعض أبواب السفينة صاح : إسحاق إسحاق !
فوثبتُ فدنوتُ منه ؛ فقال لي : كيف ترى سفينتي ؟
فقلت : حسنة يا أمير المؤمنين ، عمرها الله ببقائك .
فقام يريد الحلاء وقال لي : قل فيها أبياتاً .
فقلت ، وخرج فقامتُ بالأبيات ؛ فاشتهاها جداً وقال لي : أحسنت
يا إسحاق ، وحياتك لأهبن لك عشرة آلاف دينار .
قلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسع الله عليك !
فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر في خبره الأبيات .

١ هو الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد ، سمي المخلوع لان اهل مكة والمدينة
وكثيراً من عماله خلعوه وبايعوا المأمون وهو بخراسان .

يتشوق الى أهله

غنيت^١ الواثق في شعر قلته وأنا عنده بسر^٢ من رأى وقد طال
مقامي واشتقت^٣ الى أهلي ، وهو :

يا حبذا ريح الجنوب ، إذا بدت^٤
في الصبح ، وهي ضعيفة الأنفاس

قد حمّلت^٥ برد الندى ، ونحملت^٦
عبقاً من الجثجاث والبسباس^٧ .

فشرب عليه واستحسنه وقال لي : يا أبا محمد ، لو قلت مكان يا حبذا
ريح الجنوب : يا حبذا ريح الشمال ، ألم يكن أرق^٨ وأعذى^٩ وأصح^{١٠}
للأجساد وأقل^{١١} وخامة^{١٢} وأطيب للأنفس ؟

فقلت : ما ذهب علي^{١٣} ما قاله أمير المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعد .
فقال : قل .

فقلت :

ماذا تهيج ، من الصبابة والهوى ،
للصّب ، بعد ذهوله والياس

١ الحديث لاسحاق .

٢ الجثجاث : شجر أصفر مر طيب الريح . البسباس : نبات طيب الريح وهو الشمار .

٣ أعذى : أطيب .

فقال الواق : إنما استطببت ما تجيء به الجنوب من نسيم أهل
بغداد لا الجنوب ، وإليهم اشتقت لا إليها .
فقلت : أجل يا أمير المؤمنين .
وقمت فقبلت يده ، فضحك وقال : قد أذنت لك بعد ثلاثة
أيام ، فامض راشداً ، وأمر لي بمائة ألف درهم .

جعفر البرمكي والهاشمي

أخبرني يحيى بن علي عن إسحاق قال :
لم أر قط مثلاً لجعفر بن يحيى ؛ كانت له فتوة وظرف وأدب
وحسن غناء وضرب بالطليل ، وكان يأخذ بأجزل حظ من كل فن
من الأدب والفتوة .
فحضرت باب أمير المؤمنين الرشيد ، فقبل لي : إنه نائم ، فانصرفت ؛
فلقيتني جعفر بن يحيى فقال لي : ما الخبر ؟
فقلت : أمير المؤمنين نائم .
فقال : كيف مكانك .
ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنه نائم ؛
فخرج إلي وقال لي : قد نام أمير المؤمنين ، فسر بنا إلى المنزل حتى
نخلو جميعاً بقيّة يومنا وتغني وأغنيك ونأخذ في شأننا من
وقتنا هذا .
قلت : نعم .

فَصَرْنَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَطَرَحْنَا ثِيَابَنَا ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَطَعِمَنَا ، وَأَمَرَ
بِإِخْرَاجِ الْجَوَارِي وَقَالَ : لَتَبَرُّزْنَ ، فَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ تَحْتِشِمَنْ مِنْهُ .
فَلَمَّا وَضَعَ الشَّرَابُ دَعَا بِقَمِيصٍ حَرِيرٍ فَلَبِيسَهُ وَدَعَا بِخَلْقٍ فَتَخَلَّقَ
بِهِ ، ثُمَّ دَعَا لِي بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَجَعَلَ يَغْنِثُنِي وَأُغْنِيهِ ؛ ثُمَّ دَعَا بِالْحَاجِبِ
فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالْأَلَا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، وَإِنْ جَاءَ رَسُولُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمَهُ أَنَّهُ مَشْغُولٌ ؛ وَاحْتَاطَ فِي ذَلِكَ وَتَقَدَّمَ فِيهِ إِلَى
جَمِيعِ الْحُجَّابِ وَالْخَدَمِ ؛ ثُمَّ قَالَ : إِنْ جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَأَذِّنُوا لَهُ ،
يَعْنِي رَجُلًا كَانَ يَأْتِسُ بِهِ وَيَمَارِحُهُ وَيَحْضُرُ تَخْلَوَاتِهِ .

ثُمَّ أَخَذْنَا فِي شَأْنِنَا ؛ فَوَاللَّهِ إِنَّمَا لَعَلِّي حَالَةَ سَارَّةَ عَجِيبَةٍ إِذْ رُفِعَ
السُّتْرُ ، وَإِذَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ قَدْ أَقْبَلَ ، وَغَلِطَ الْحَاجِبُ
وَلَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الَّذِي يَأْتِسُ بِهِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى .

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْهَاشِمِيِّ مِنْ جَلَالَةِ الْقَدْرِ وَالتَّقَشُّفِ وَفِي
الْامْتِنَاعِ مِنْ مَنَادِمَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمْرِ جَلِيلٍ ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ اجْتَهَدَ بِهِ أَنْ يَشْرَبَ مَعَهُ أَوْ عِنْدَهُ قَدْحًا فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ رَفْعًا لِنَفْسِهِ .
فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا ، أَقْبَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَنْظُرُ إِلَى صَاحِبِهِ ، وَكَادَ
جَعْفَرُ أَنْ يَنْشَقَّ غِيظًا .

وَفَهِمَ الرَّجُلُ حَالَنَا ، فَأَقْبَلَ نَحْوَنَا ، حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى الرُّوَاقِ
الَّذِي نَحْنُ فِيهِ نَزَعَ قَلَنْسِيَّتَهُ فَرَمَى بِهَا مَعَ طِيلَسَانِهِ جَانِبًا ؛ ثُمَّ
قَالَ : أَطْعِمُونَا شَيْئًا .

فدء له جعفر بالطعام وهو منتفخ غضباً وغيظاً فطعم ، ثم دعا
برطل فشربه ، ثم أقبل الى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعِضادتي^١
الباب ثم قال : اشركونا فيما أنتم فيه .

فقال له جعفر : ادخل .

ثم دعا بقميص حرير وخلق فلبس وتخلّق ، ثم دعا برطل
ورطل حتى شرب عدّة أرطال ، ثم اندفع ليغتنا ، فكان والله أحسننا
جميعاً غناء .

فلما طابت نفس جعفر وسرّي عنه ما كان به التفت اليه فقال
له : ارفع حوائجك .

فقال : ليس هذا موضع حوائج .

فقال : لتفعلن .

ولم يزل يُلحّ عليه حتى قال له : أمير المؤمنين عليّ واجدٌ ، فأحبّ
أن ترضاه .

قال : فإن أمير المؤمنين قد رضي عنك ، فهات حوائجك .

فقال : هذه كانت حاجتي .

قال : ارفع حوائجك كما أقول لك .

قال : عليّ دينٌ فادح .

قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإن أحببت أن تقبضها

١ عضادتا الباب : خشبته من جانبيه .

فاقبضها من منزلي الساعة ، فإنه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أن
قدرك يحلّ عن أن يصلك مثلي ، ولكنني ضامنٌ لها حتى تُحمَلَ من
مال أمير المؤمنين غداً ؛ فسَلْ أيضاً .

قال : ابني ، تَكَلَّمْ أمير المؤمنين حتى ينوّه باسمه .

قال : قد ولّاه أمير المؤمنين مصرَ وزوجّه ابنته العاليةَ ومهرها
ألفي ألف درهم .

قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سَكِرَ الرجل ، أعني جعفرًا . فلما
أصبحتُ لم تكن لي هِمةٌ إلا حضورَ دار الرشيد ؛ وإذا جعفر بن يحيى
قد بَكَرَ ، ووجدتُ في الدار جَلْبَةَ ، وإذا أبو يوسف القاضي ونظراؤه
قد دُعِيَ بهم ، ثم دُعِيَ بعبد الملك بن صالح وابنه فأدخلا على الرشيد ؛
فقال الرشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد
رضيَ عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم ، فاقبضها من جعفر بن
يحيى الساعة .

ثم دعا بابنه فقال : اشهدوا أني قد زوجتُه العاليةَ بنت أمير
المؤمنين وأمهرتها عنه ألفي ألف درهم من مالي وولّيته مصر .

قال : فلما خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر ؛ فقال : بَكَرْتُ
على أمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منا وما كُتِبَ فيه حرفاً حرفاً ،
ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنَعَ ؛ فعَجِبَ لذلك وسُرَّ به ؛ ثم
قلت له : قد ضَمِنْتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَماناً .

فقال : ما هو ؟ فأعلمته .
قال : أوفٍ له بضمانك ، وأمر بإحضاره ؛ فكان ما رأيت .

أبوه يعجب بلحنه

أخبرني عمي عن إسحاق قال :
لمّا صنعت لحن في :

هل الى نظرةٍ إليك سبيلُ

ألقيته على علّويه ، وجاءني رسول أبي بطّبق فأكهه باكورةٍ ؛
فبعثتُ إليه : برك الله يا أبتِ ووصلك ! الساعة أبعث إليك بأحسن
من هذه الباكورة .

فقال : إني أظنه قد أتى بآبدة^١ .

فلم يلبث أن دخل عليه علّويه فغشاه الصوت ؛ فعجّب منه
وأعجب به ، وقال : قد أخبرتكم أنه قد أتى بآبدة . ثم قال لولده :
أنتم تلو مونني على تفضيل إسحاق ومحبتني له ، والله لو كان ابن غيري
لأحبيته لفضله فكيف وهو ابني ؛ وستعلمون أنكم لا تعيشون إلّا به .
وقد ذكر أبو حاتم الباهلي أن هذه القصة كانت لمّا صنع إسحاق
لحنه في :

عَيَّضَنَ مِنْ عَبْرَاتِهِنَّ وَقَلْنَ لِي

١ الآبدة : الغريبة .

لا رواية ولا دراية

سألت^١ إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ، فقال : دَعْنِي منه ، فليست
له رواية ولا دراية ولا حكاية .

رثاؤه هشيمة الخمار

أخبرني الحسن بن علي عن إسحاق قال : كانت هُشَيْمَةُ الخُمَارَة
جارتِي، وكانت تُخَصِّنِي بأطيب الشراب وجيِّدِهِ؛ فماتت فقلت أرثيها :

أضحتْ هُشَيْمَةُ في القبور مقيمةً ،
وخلتْ منازلُها من الفتيانِ

كانت ، إذا هَجَرَ المحبَّ حبيبُهُ ،
دَبَّتْ له في السرِّ والإعلانِ^٢

حتى يَلِينَ لما تُريدُ قيادَهُ ،
ويصيرَ سيِّئُهُ إلى الإحسانِ

١ الحديث لعلي بن يحيى .

٢ دبت له : مشت مشية الطفل .

خاتم الكرام

سألني^١ إدريس بن أبي حفصة حاجة ، فقضيتها له وزدت فيما سألت ؛
فقال لي :

إذا الرجالُ جَهِلُوا المكارما ،
كان بها ابنُ الموصلي عالماً ،
أبقاك ذو العرش بقاءً دائماً ،
فقد جُعِلتَ للكرام خاتماً
إسحاق ! لو كنتَ لقيتَ حاقماً
كان نَداه لَنَدَاكَ خادماً

قال حمّاد : وقال لي أبي : كان إدريس سخيّاً من بين آل أبي
حفصة ؛ فنزل به ضيفٌ ، فتنمّرت امرأته عليه ؛ فقال لها :

من شرّ أيامك ، اللاتي خلّقت لها ،
إذا فقدتِ ندى صوتي وزواري^٢

تشاغله عن دعوة

كان^٣ علي بن هشام قد دعاني ودعا عبد الله بن محمد بن أبي عُبَيْنة ،

١ الحديث لاسحاق .

٢ ندى الصوت : صده .

٣ الحديث لاسحاق .

فتأخرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً وتشاغلْتُ عنه برجلٍ من الأعراب
كان يجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً .

وكان عند عليّ بن هشام بعضُ من يُعاديّني؛ فسألوا ابن أبي عيّنة
أن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه إلى الحُلُفِ ؛ فكتب إليّ :

يا مَلِيّاً بالوعدِ والحُلُفِ والمَطْلِ ،
بطيئاً عن دعوة الأصحابِ

لَهْجاً بالأعرابِ ، إنْ لدينا
بعضَ ما تشتهي من الأعرابِ

قد عرفنا الذي شُغِلَ به عنّا ،
وإن كان غيرَ ما في الكتابِ

قال : فكتبتُ إلى الذي حمل ابن أبي عيّنة على هذه الأبيات .
قال حمّاد : وأظنه إبراهيم بن المهديّ :

قد فهِمْتُ الكتابَ أصلحك الله ،
وعندي عليه ردُّ الجوابِ

ولعمري ما تُنصفون ، ولا كان
الذي جاء منكم في حسابي

لستُ آتيكَ فاعلمنّ ، ولا لي
فيك حظٌّ ، من بعد هذا الكتابِ

يعاتب ابن هشام

قال حمّاد : قال أبي : وكتبته إلى علي بن هشام وقد اعتللت
أياماً فلم يأتني رسوله :

أنا عليلٌ منذُ فارقْتَنِي ،
وأنتَ عمّن غاب لا تسألُ

ما هكذا كنتَ ، ولا هكذا ،
فيما مضى ، كنتَ بنا تفعلُ

فلما وصلتُ إليه رفعتي ركبَ إليَّ وجاءني عائداً .

عودته من البصرة

ولما خرج أبي إلى البصرة خرّجته الأولى وعاد ، أنشدني في ذلك
لنفسه :

ما كنتُ أعرفُ ما في البينِ من حزنٍ ،
حتى تنادوا بأنّ قد جيءَ بالشفنِ

قامتُ تودّعني ، والعينُ تغليبها ،
فجمّجمتْ بعضَ ما قالتْ ولم تبينِ

١ جمجم الكلام : لم يبينه .

مات عليٌ تُفدني وتشفني،
كما يميلُ نسيمُ الرِّيحِ بالغصنِ

وأعرضتُ ، ثم قالت ، وهي باكبة :
يا ليت معرفتي إياك لم تكن

لما افترقنا ، على كرهٍ لفرقتها ،
أيقنتُ أنني رهينُ الهم والحزنِ

يزيد علي شعر جميل

أنشدني شداد بن عقبة جميل :

قفي تسألُ عنك النفسُ بالخطئة التي
نطيلن تخويفي بها ، ووعيدي

فقد طالما ، من غير شكوى قبيحة ،
رضينا بحكم منك غير سديد

قال : فأنشدتُ الزبير بن بكار هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف
من العراق إلا بهما لرايتُهما غنماً .

١ الحديث لاسحاق .

وانشدني شدّاد لجميل أيضاً :

بُشَيْنَ سَلِينِي بَعْضَ مَالِي ، فَإِنَّمَا
يُبَيِّنُ عِنْدَ الْمَالِ كُلِّ نَجِيلِ

فاني ، وتكراري الزيارة نحوكم ،
لَبَيْنَ يَدَيَّ هَجَرَ بُشَيْنَ طَوِيلِ

قال أبي : فقلتُ لشدّاد : فهلا أزيدك فيهما ؟

فقال : بلى .

فقلت :

فيا ليتَ شعري ! هل تقولين بعدنا ،
إِذَا نَحْنُ أَزْمَعْنَا غَدًا لِرَحِيلِ

ألا ليتَ أياماً ، مَضَيْنَ ، رَوَاجِعُ ،
وَلَيْتَ النَّوَى قَدْ سَاعَدَتْ بِجَمِيلِ

فقال شدّاد : أحسنتَ والله ! وإن هذا الشعر لضائع .

فقلت : وكيف ذلك ؟

قال : نقيته عن نفسك بتسميتك جميلاً فيه ، ولم يَلْحَقْ بِجَمِيلِ ،
فضاع بينكما جميعاً .

عند اسحاق المصعبي

دعاني^١ إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ ، فوجه إليّ فحضرتُ وحضر علكويه ومخارق وغيرهما من المغنّين ؛ فبينما هم على شراهم وهم أسرّ ما كانوا ، اذ وافاه رسولُ أمير المؤمنين فقال : أجب .

فقال : السمع والطاعة .

ودعا بثيابه فلبسها . ثم التفت الى محمد بن راشد الحنّاق فقال له : قد بلغني أنك أحفظ الناس لما يدور في المجالس ، فاحفظ لي كلّ صوت يمرّ وما يشربه كلّ إنسان ، حتى إذا عدتُ أعدت عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني .

فقال : نعم ، أصلح الله الأمير .

ومضى الى المأمون ، فأمره بالشخص الى بابك^٢ من غدٍ ، وتقدم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده . فلما دخل ووضع ثيابه قال : يا محمد ، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك ؟ قال : قد أحكمته أعزّك الله .

١ الحديث لاسحاق .

٢ هو بابك الحرّمي ، خرج على دولة بني العباس ، ثم أخذ في أيام المعتصم هو وأخوه اسحاق وصلبا .

ثم أخبره بما شرب القوم وما استحسّنوه من الغناء بعده ؛ فأمر أن
يُجمع له أكثر ما شربه واحد منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه صوت
صوت مما حفظه له حتى يستوفي ما فات القوم به ، ففعل ذلك وشرب
حتى استوفي النبيذ والأصوات . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إني قد
عمِلتُ في مُنصرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها .

فقلت : هاتِها أعزّ الله الأمير .

فأنشدني :

ألا مَنْ لقلبٍ مُسَلِّمٍ للنوائبِ ،
أحاطت به الأُحزانُ من كلّ جانبِ

تَبَيَّنَ يومَ البين أنّ اعتزّامه ،
على الصبر ، من بعض الظنون الكواذبِ

حرامٌ ، على رامي فؤادي بسهمه ،
دمٌ صبّه بين الحشَى والترائبِ

أراقَ دماً ، لولا الهوى ما أراقه ؛
فهل بدّمي من نائٍ أو مُطالبِ ؟

قال : فقلت له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ .

فقال لي : فاصنع فيه .

فصنعت فيه لحناً ؛ وأحضرتني وصيفةً له ، فألقيته عليها حتى أخذته ؛

وقال : إنما أردتُ أن أتسلّى به في طريقي وتذكّرني به الجاريةُ
أمرَكَ إذا غبّته .

فكان كلما ذكر أُناني برّهُ ، الى أن قدّم ، عدّة دفعات .

بعد ان كف بصره

سأل^١ المتوكّل عن إسحاق الموصلي ، فعرف أنه قد كفّ وأنه
في منزله ببغداد ؛ فكتب في إحضاره . فلما دخل عليه رفعه حتى
أجلسه قدّام السرير ، وأعطاه مِخدّة ، وقال له : بلغني أن المعتصم
دفع إليك مِخدّة في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال :
إنه لا يُستجلب ما عند حرّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟
فقال : نعم .

فأمر أن يُسقى . فلما شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمد عوداً .
فجيء به ؛ فاندفع يغنّي بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له :

ما علّةُ الشيخ ، عيناہ بأربعة
تَغَرَّورِ قان بدمع ، ثم تَنَسَّكِبُ^٢

قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلامٌ من الغلمان الوقوفِ على

١ الحديث لأبي عبد الله محمد بن حمدون .

٢ عيناہ بأربعة : أي تسيلان بأربعة آفاق .

الحَيْرُ^١ إلا وجدته يرقص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل .
فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لي المتوكل : يا بنَ حَمْدُون ،
أتحسن أن تغنّيني هذا الصوت ؟

فقلت : نعم .

قال : غنّه .

فترنّمت به ؛ فقال إسحاق : من هذا الذي يحكّيني ؟

فقال : هذا ابنُ صديقك حمدون .

فقال : ودِدْتُ أنه يُحسن أن يحكّيني .

فقلت له : أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين .

ثم انحدر المتوكل الى رَقَّةٍ بُوَصْرَا^٢ ؛ وكان يَسْتطِيبُها لكثرة تغريد
الآطيار بها ، فغنّني إسحاق :

أَنْ هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى ،

عَلَى عُصْنِ عَصِّ الشَّبَابِ ، مِنَ الرَّنْدِ

بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْحَزِينُ صَبَابَةً ،

وَشَوْقاً ، وَتَابَعْتَ الْحَنِينَ إِلَى نَجْدِ

١ الحير : قصر بسر من رأى بناء المتوكل .

٢ الرقة : كل ارض الى جنب واد ينبسط عليها الماء . بوضرا : قرية من قرى بغداد .

فضحك المتوكل وقال له : يا إسحاق ، هذه أختُ فَعَلْتَك بالوائق
لَمَّا غَنَيْتَهُ بالصالحية^١ :

طَرِبْتُ إلى الأَصَيْبِيَّة الصَّغَارِ ،
وذكرني الهوى قربُ المزارِ

فكم أعطاك لَمَّا أذن لك في الانصراف ؟

قال : مائة ألف درهم .

فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . وكان
هذا آخرَ عهدنا به ، لأن إسحاق توفي بعد ذلك بشهرين .

يتطير من صوت

دخلت^٢ على الواثق أستاذته في الانحدار إلى بغداد فوجدته
مصطبجاً ؛ فقال : بجمالي غنّ :

ألا إنَّ أهلَ الدار قد ودَّعوا الدار ؛
وإن كان أهلُ الدار في الحيِّ أجواراً^٣
وقد تركوا قلبي حزيناً ، متيسماً ،
بذكرهم ، لو يستطيع لقد طاراً

١ الصالحية : قرية قرب الرها من أرض الجزيرة .

٢ الحديث لإسحاق .

٣ الأجوار : جمع جار وهو الذي يجاورك .

فتطيرت من اقتراحه له وغيته إياه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأمر
لي بثلاثين ألف درهم وأذن لي فأنصرفت ؛ ثم كان آخر عهدي به .
الشعر لمطيع بن إياس ، والغناء لابراهيم الموصلي .

كسر الغلام الخاية

كنت^١ في بيتي وعلتوبه يغتني :

أعرضن من شمط في الرأس لاح به ،
فهن عنه إذا أبصرته جيد^٢

قد كنّ يعهدن مني منظرأ حسناً ،
وجمّة حسرت عنها العناقيد^٣

فوردت علي رُقعة من إسحاق الموصلي يستسقينني نبيداً ؛ فبعثت اليه
بدن مع غلام لي ؛ فلمّا توسط الغلام به الجسر زحيم فكسّر ؛
فرجع الغلام الى إسحاق فأخبره الخبر وسأله مسئلتى التجافى عنه ؛
فكتب إلي :

١ الحديث لأحمد بن معاوية .

٢ الشمط : بياض الرأس يخالطه سواد . جيد : مائلات .

٣ الجمّة : مجتمع شعر الرأس . حسرت : انكشفت . العناقيد : جدائل الشعر ، وفي
الكلام استعارة .

يا أحمد بن معاوية
إني رُميتُ بداهية

أشكو اليك فأشكيني
كسّر الغلام الخائبة

فبعثتُ إليه بأربعة أدنان ، وأعتقتُ الغلام بشفاعته في أمره .

صوت يعجز المغنين

قال لي^١ حمدون بن إسماعيل ، رحمه الله :

لما صنع أبوك ، رحمه الله ، هذا الصوت :

قَف بالديار التي عفا القِدَمُ ،
وغيّرتها الأرواحُ والديَمُ

لما وقفنا بها نسائلها ،
فاضتُ من القوم أعينُ سَجَمُ

ذكرًا لعيش مضي ، إذا ذكرت
ما فات منه ، فذكره سَقَمُ

وكلُّ عيشٍ دامتْ غضارتُهُ
مُنْقَلِعٌ مرّةً ومُنْصَرِمٌ

١ الحديث لحماذ بن اسحاق .

أعجيب به المعتصم والوائق جميعاً ؛ فقال له المعتصم : بجيأتي ارددّه
على مُخارق وعلّويه والجماعة ليأخذوه عنك ، وانصحهم فيه ؛ فانهم
ان أحسنوا فيه 'نسب اليك إحسانهم' ، وإن أساءوا بان فضلك عليهم .
فردّه عليهم أكثر من مائتي مرّة ، وكانوا يقصّدون الى منزله ويردّه
عليهم ، ومات وما أخذوا منه علم الله إلا رسمه .
الشعر والغناء لاسحاق .

غزال دير القائم

خرجنا مع الرشيد يريد الرقّة ؛ فلما صرنا بالموضع الذي يقال له
القائم نزلنا ، وخرج يتصيد وخرجنا معه ، فأبعد في طلب الصيد ؛ ولاح
لي دير فقصدته وقد تعبت ، فأشرفت على صاحبه ؛ فقال : هل لك في
النزول بنا اليوم ؟

فقلت : إي والله ، وإني الى ذلك محتاج .

فنزل ففتح لي الباب وجلس يحدثني ، وكان شيخاً كبيراً وقد
أدرك دولة بني أميّة ، فجعل يحدثني عمّن نزل به من القوم ومواليهم
وجيوشهم ؛ وعرض عليّ الطعام فأجبتّه ؛ فقدم إليّ طعاماً من طعام
الديارات نظيفاً طيباً ، فأكلت منه ، وأتاني بشراب وريحان طريّ

١ الحديث لحماذ عن أبيه اسحاق .

فشربت منه ، ووكل بي جاريةً تخدمني ، لم أرَ أحسن وجهاً منها ،
ولا أشكلاً^١ ؛ فشربت حتى سكرت ، ونمت وانتبهت عشاءً ؛
فقلت في ذلك :

بديّر القائم الأقصى ،
غزال شادن^٢ ، أحوى

برى حببي له جسمي ،
ولا يعلم ما ألقى

واكتنم حبه جهدي ،
ولا والله ما يخفى

وركبت فلحقت بالمعسكر والرشيده قد جلس للشرب وطلبني فلم
أوجد . وأخبرت بذلك ، فغضبت في الأبيات ودخلت اليه ؛ فقال
لي : أين كنت ؟ ويحك !

فأخبرته بالخبر وغضبه الصوت .

فطرب وشرب عليه حتى سكر ، وأخّر الرحيل في غد ، ومضينا
إلى الدّير ونزله ، فرأى الشيخ واستنطقه ، ورأى الجارية التي كانت
تخدمني بالأمس ؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه ، ودعا بالشراب ،

١ أشكل : أدل وأغنج .

٢ دير القائم الأقصى : على شاطئ الفرات من جانبه الغربي في طريق الرقة .

وأمر الجارية التي كانت بالأمس تخدمني أن تتولّى خدمته وسقيته
ففعلت ، وشرب حتى طابت نفسه ؛ ثم أمر للدّير بألف دينار ، وأمر
باحتمال خراجه له سبعة سنين ؛ فرحلنا .

قال حمّاد : فحدثني أبي قال : فلما صرنا بتلّ عزاز من دابق^١
خرجت أنا وأصحاب لي ننزهه في قرية من قرأها ، فأقمنا بها أياماً ،
وطلبني الرشيد فلم يجديني . فلما رجعت أتيت الفضل بن الربيع ؛
فقال لي : أين كنت ؟ طلبك أمير المؤمنين .

فأخبرته بشنّهتنا فغضب . وخفت من الرشيد أكثر مما لقيت
من الفضل ؛ فقلت :

إنّ قلبي بالتلّ ، تلّ عزاز ،
عند ظبي من الظباء الجوّازي

شادن يسكن الشّام ، وفيه ،
مع ظرف العراق ، شكل الحجاز

يا لقومي لبنت قس أصابت
منك صفو الهوى ، وليست تجازي

حلفت بالمسيح أن تُنجز الوعد ،
وليست تهّم بالإنجاز

١ دابق : قرية قرب حلب .

وغميت فيه ؛ ثم دخلت على الرشيد وهو مغضب ؛ فقال : أين كنت ؟ طلبتكم فلم أجِدكم .

فاعذرت إليه وأنشدته هذا الشعرَ وغميته إياه ؛ فتبسّم وقال : عذرٌ وأبيك وأيُّ عذر !

وما زال يشربُ عليه ويستعيدُنيه ليلته جَمْعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر . فلما وصلتُ الى رَحلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يدْعونا ؛ فوافيتُ فدخلتُ ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكَّان في الدار وهو سكران يتململ ؛ فقال لي : يابن الموصلي ، أتدري ما جاء بنا ؟

فقلت : لا والله ما أدري .

فقال : لكنّي والله أدري درايةً صحيحةً ، جاءت بنا نصرا نيتُك ، عليك وعليها لعنة الله .

وخرج الآذنُ فأذنَ لنا ، فدخلنا . فلما رأيتُ الرشيد تبسّمت ؛ فقال لي : ما يُضحكك ؟

فأخبرته بقول ابن جامع .

فقال : صدق ، ما هو إلا أن فقدتكم فاشتقتُ الى ما كنّا فيه ، فعُودوا بنا ؛ فعُدنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا .

يدخل على الرشيد مغنياً

دخلتُ ١ على الرشيد يوماً في عمامة قد كوّرتُها على رأسي ؛ فقال :

١ الحديث لاسحاق .

ما هذه العمامة ! كأنك من الأنبار .

فلما كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأَمَهَلْتُ حتى دخل المغنُّون جميعاً
قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطي بمشدَّة حرير
أحمر ، ولبستُ لباساً مُشْتَهَراً ، وأخذتُ بيدي صَفَافَتَيْنِ وأقبلتُ
أخطِرُ وأضرب بالصَّفَافَتَيْنِ وأُغَنِّي :

إِسمَعُ لصوتٍ مَليحٍ ،
من صَنعةِ الأنباري

صوتٍ خَفِيفٍ ، ظَرِيفٍ ،
يَطِيرُ في الأوتارِ

فبسط يده إليَّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي !
أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيَّةَ يومه ، وما
استعاد غيره ، وأمر لي بعشرين ألف درهم .

عند الفضل بن الربيع

حدثني أحمد بن يحيى المَكِّيُّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ،
فغَنَّنِي بعضُ مَنْ كان عنده :

كلُّ شَيْءٍ مِنْكَ ، في عيني ، حَسَنٌ ،
ونصِيبِي مِنْكَ هَمٌّ وحَزَنٌ

١ الحديث لحماذ بن اسحاق .

لا تَظُنِّي أَنَّهُ غَيَّرَنِي،
قَدَمُ الْعَهْدِ وَلَا طَوْلُ الزَّمَنِ

فقال لي : أتدري لمن هذا ؟

فقلت : لبعض الطُّنْبُورِيِّينَ .

فقال : لا ولكنه لذلك الشيطان إسحاق .

شعره في جارية سقته

لَمَّا خَرَجْنَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى طُوسَ كُنْتُ مَعَهُ أُسَيرُهُ، فَاسْتَسْقَيْتُ
مَاءً مِنْ مَنْزِلِ نَزَانَاهُ يُقَالُ لَهُ سَحْنَةٌ ، فَخَرَجْتُ إِلَيْنَا جَارِيَةً كَأَنَّهَا
ظَبْيَةٌ ، فَسَقَّتْنِي مَاءً ؛ فَقُلْتُ هَذَا الشَّعْرُ :

غَزَالٌ يَرْتَعِي جَنْبَاتِ وَادٍ ،
بَسَحْنَةٍ ، قَدْ تَمَكَّنَ فِي فَوَادِي

سَقَانِي شَرْبَةً كَانَتْ شِفَاءً
لِعِلَّةِ حَائِمٍ ، حَرَّانَ صَادِي

وَعَنَيْتِهِ الرَّشِيدَ ؛ فَقَالَ لِي : أَتَحِبُّ أَنْ أَزُوجَكَهَا ؟

فقلتُ : نَعَمْ وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي .

قال : فَاخْطُبِيهَا وَالْمَهْرُ عَلَيَّ وَمَا يُصْلِحُهَا .

فَخَطَبْتُهَا ، فَأَبَى أَهْلُهَا أَنْ يُخْرِجُوهَا مِنْ بَلَدِهِمْ .

٢ الحديث لإسحاق .

سواط يدعي صوتاً له

قال لي أبي^١ : ما اغتممتُ بشيء قطُّ مثلما اغتممتُ بصوتٍ
مليحٍ صنعته في هذا الشعر :

كان لي قلبٌ أعيشُ به ،
فاكتوى بالنارِ فاحترقاً

أنا لم أرزقُ محبَّتِها ؛
إنما للعبد ما رزقاً

من يكن ما ذاقَ طعامَ ردِّي ،
ذاقه لا شكَّ إن عشيّقاً

فإني صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أردده في جناحٍ لي سحرّاً ؛ فأظنُّ
أنَّ إنساناً من العامة مرَّ بي فسمعه فأخذه ؛ فبكرتُ من غدٍ
إلى المعتصم لأغنيّه ، فإذا أنا بسواط يسوط^٢ الناطف^٣ وهو يُغنيّ
اللحنَ بعينه إلا أنه غناء فاسدٌ . فعجبتُ وقلتُ : ترى من أين لهذا
السواط هذا الصوت ! ولعلّي إذ أغنيته أن يكون قد مرَّ بي هذا
فسمعتُ أغنيّه ؛ وبقيتُ متحيراً .

١ الحديث لحامد بن اسحاق .

٢ يسوط : يخاط .

٣ الناطف : ضرب من الحلواء لأنه ينطف قبل استفراجه ، أي يقطر قبل ختورته .

ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟
فلم يجبني والتفت الى شريكه ، وقال : هذا يسألني ممن سمعته !
هذا غنائي ، والله لو سمعه إسحاق الموصلي ... في سراويله ؛ فبادرتُ والله
هارباً خوف أن يمرَّ بي إنسانٌ فيسمع ما جرى عليّ فأفتضح ؛ وما
علم الله أنّي نطقت بذلك الصوت بعدها .

مدحه جعفر بن يحيى

دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى ، فرأى سَفَتِي تتحركان بشيء
كنتُ أعلمه ؛ فقال : أتدعو أم تصنع ماذا ؟

فقلتُ : بل أمدح .

قال : قل .

فقلت :

و كنتُ ، اذا اِذْنٌ عليك جرى لنا ،
تجلّى لنا وجهٌ أغرُّ ، وسيمُ

علانيةٌ محمودةٌ وسريّةٌ ،
وفعلٌ يسُرُّ المُعتَفينَ كريمُ

فاحتبسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ ، وقال : زدِ البيتين حسناً بأن
تصنع فيهما لحناً ؛ فصنعتُ لحناً ؛ فلم يزل يشربُ عليهما حتى سكر .

١ الحديث لإسحاق .

يدخل الى بيت متطفلاً

غدوت^١ يوماً وأنا ضَجِرُّ من ملازمة دارِ الخلافةِ والخدمةِ فيها؛ فخرجتُ وركبتُ بكرةً^٢، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرَّجَ؛ فقلتُ لعلّمني : إن جاء رسولُ الخليفةِ أو غيرهُ فعرّفوه أنني بكَرْتُ في بعضِ مهمّاتي، وأنكم لا تعرّفون أين توجّهتُ .

ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي، ثم عدتُ وقد حميَ النهارُ؛ فوقفتُ في الشارعِ المعروفِ بالمخرم^٣ في فناءٍ تُخِنِ الظلَّ وجَنَاحٍ رَحِبٍ على الطريقِ لأستريحَ . فلم ألبثُ أن جاء خادمٌ يقود حماراً فارهاً عليه جاريةٌ راكبةٌ، تحتها منديلٌ ديبقي^٤ وعليها من اللباسِ الفاخرِ ما لا غايةَ بعده، ورأيتُ لها قواماً حسناً وطرفاً فاتراً وشمايلاً حسنةً؛ فخرّصتُ^٤ عليها أنها مغنّيةٌ، فدخلتِ الدارَ التي كنتُ واقفاً عليها . ثم لم ألبثُ أن جاء رجلانِ شابَّانِ جميلانِ ، فاستأذنا فأذن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ ؛ فظننا أن صاحب الدار دعاني وظنَّ صاحبُ الدار أنني معهما .

فجلسنا، وأتينا بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضّع، وخرجت الجارية

١ الحديث لاسحاق .

٢ المخرم : محلة في بغداد بالجانب الشرقي .

٣ ديبقي : نسبة الى دبيق ، بليدة في مصر .

٤ خرّصت : ظننت وخمنت .

وفي يدها عودٌ فغَنَّتْ وشربنا ؛ وقمتُ قومةً ، وسأل صاحبُ المنزل
الرجلين عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني .
فقال : هذا طُفَيْلِي ، ولكنه ظريفٌ ، فأَجْمِلُوا عِشْرَتَهُ . وجئتُ
فجلستُ ؛ وغَنَّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي :

ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنَ ،
أَمَامَ الْمَطَايَا ، تَشْرِبُ تَسْنَحُ

من المَوَلِيفَاتِ الرَّمْلِ ، أَدْمَاءُ ، حُرَّةٌ ،
شُعَاعُ الضَحَى ، فِي مَتْنِهَا ، يَتَوَضَّحُ

فأدَّتْهُ أَدَاءً صَالِحًا وَشَرِبَتْ . ثم غَنَّتْ أصواتاً شتى ، وغَنَّتْ في
أضعافها من صنعتي :

الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ ،
فَارَقَتْنِهَا الْأَوَانِسُ

أَوْحِشْتُ بَعْدَ أَهْلِهَا ،
فَهِ قَفَرٌ بَسَابِسُ

فكان أمرُها فيه أصلحَ منه في الأول . ثم غَنَّتْ أصواتاً من
القديم والحديث ، وغَنَّتْ في أثنائها من صنعتي :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبَا ،
وَنَأَى عَنْكَ جَانِبَا

قد بلغت الذي أردت ،
وإن كنت لأعيبا

فكان أصلح ما غنّته ؛ فاستعدّته منها لأصحّحه لها ؛ فأقبل عليّ
رجل من الرجلين وقال : ما رأيتُ طفيلياً أصفقَ وجهاً منك ! لم
ترضَ بالتطفيل حتى اقتوحّت ، وهذا غاية المثل « طفيليّ مقتّرح » .
فأطرقْتُ ولم أجيبه ؛ وجعل صاحبه يكفّهُ غنّي فلا يكفّ .
ثم قاموا للصلاة وتأخّرت قليلاً ، فأخذتُ عودَ الجارية ، ثم شددتُ
طبقته وأصلحته إصلاحاً محكماً ، وعُدتُ الى موضعي فصلّيتُ ،
وعادوا ؛ ثم أخذ ذلك الرجلُ في عَرَبْدته عليّ وأنا صامت .
ثم أخذتِ الجاريةُ العودَ فجسّته وأنكرتُ حاله وقالت : مَنْ
مسَّ عُوذي ؟

قالوا : ما مسّه أحدٌ !

قالت : بلى ! والله لقد مسّه حاذقٌ متقدّم وشدّ طبقته وأصلحه
إصلاحاً مُتمكّن من صناعته .
فقلتُ لها : أنا أصلحته .

قالت : فبالله خذه واضرب به .

فأخذته وضربتُ به مبدأً صحيحاً ظريفاً عجيباً صعباً ، فيه نقراتُ
محرّكة ؛ فما بقي أحدٌ منهم إلا وثبَ على قدميه وجلس بين يدي ؛
ثم قالوا : بالله يا سيّدنا اتّعّني ؟

فقلت : نعم ، وأَعَرَّ فُكُمُ نَفْسِي ، أَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ ،
وَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَتِيهِ عَلَى الْخَلِيفَةِ إِذَا طَلَبَنِي وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَنِي مَا أَكْرَهَ مِنْذُ
الْيَوْمِ لَأَنِّي تَمَلَّحْتُ مَعَكُمْ ؛ فَوَاللَّهِ لَا نَطْقُ بِجَرْفٍ وَلَا جَلَسْتُ مَعَكُمْ
حَتَّى تُخْرِجُوا هَذَا الْمُعَرَّبِدَ الْمَقِيَّتَ الْغَثَّ .

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : مِنْ هَذَا أَحَذَرْتُ عَلَيْكَ ؛ فَأَخَذَ يَعْتَذِرُ ؛ فَقُلْتُ :
وَاللَّهِ لَا نَطْقُ بِجَرْفٍ وَلَا جَلَسْتُ مَعَكُمْ حَتَّى يُخْرِجَ ؛ فَأَخَذُوا بِيَدِهِ
فَأَخْرَجُوهُ وَعَادُوا . فَبَدَأْتُ وَغَنَّيْتُ الْأَصْوَاتَ الَّتِي غَنَّتْهَا الْجَارِيَةُ مِنْ
ضَنْعَتِي ؛ فَقَالَ لِي الرَّجُلُ : هَلْ لَكَ فِي خَصْلَةٍ ؟

قُلْتُ : مَا هِيَ ؟

قَالَ : تُقِيمُ عِنْدِي شَهْرًا ، وَالْجَارِيَةُ وَالْحَمَارُ لَكَ مَعَ مَا عَلَيْهَا
مِنْ حُلِيِّ .

قُلْتُ : أَفْعَلُ .

فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا لَا يَدْرِي أَحَدٌ أَنِّي أَنَا ، وَالْمَأْمُونُ يَطْلُبُنِي
فِي كُلِّ مَوْضِعٍ فَلَا يَعْرِفُ لِي خَبْرًا . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَسْلَمَ
إِلَيَّ الْجَارِيَةُ وَالْحَمَارَ وَالْخَادِمَ ؛ فَجِئْتُ بِذَلِكَ إِلَى مَنْزِلِي ، وَرَكِبْتُ
إِلَى الْمَأْمُونِ مِنْ وَقْتِي ؛ فَلَمَّا رَأَى قَالَ : إِسْحَاقُ ! وَيْحَكَ ! أَنِ تَكُونَ !
فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي .

فَقَالَ : عَلَيَّ بِالرَّجُلِ السَّاعَةِ .

فَدَلَّلْتُهُمْ عَلَى بَيْتِهِ فَأَحْضَرُ ؛ فَسَأَلَهُ الْمَأْمُونُ عَنِ الْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ ؛

فقال له : أنت رجل ذو مروءةٍ وسبيلك أن تُعاونَ عليها ؛ وأمر له
بمائة ألف درهم .

وقال : لا تُعاشِرَنَّ ذلك المعريِّدَ النَّدَلَ البتَّةَ ؛ وأمر لي بخمسين
ألف درهم .

وقال : أحضِرْني الجاريةَ ، فأحضرتها فغنته ؛ فقال لي : قد جعلتُ
لها نوبةً في كلِّ يومٍ ثلاثاً تُعَتِّيني وراءَ الستارة مع الجواري ؛ وأمر
لها بخمسين ألف درهم . فربحتُ والله بتلك الرُّكبةِ وأربحتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

ذكرتك أن مررتُ بنا أمُّ شادن ،
أمامَ المطايا ، تشرَّبُ وتسَنِّحُ

من المؤلِّفاتِ الرمل ، أدماءُ ، حُرَّةٌ ،
شُعاعُ الضُّحى ، في مَتَنِها ، يتوضَّحُ

الشعرُ لذي الرُّمَّة ، والغناءُ لاسحاق .

قل لمن صَدَّ عاتِبًا ،
ونأى عنك جانبًا

قد بلغتَ الذي أردتَ ،
وإن كنتَ لاعِبًا

الشعرُ والغناءُ لاسحاق . وقد تقدَّم خبره قبل هذه الأخبار .

الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ،

فَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ

أَوْحَشَتْ بَعْدَ أَهْلِهَا،

فَهِىَ قَفَرٌ بَسَابِسُ

الشعرُ لابن ياسين ، شاعر مجهول قليل الشعر، كان صديقاً لإسحاق .
والغناء لإسحاق . وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه .

الوائق يعجب بصوته

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني يزيدُ بن محمد المهلبِّي قال :
كنتُ عند الواثق ؛ فغَنَّتْهُ « شَجَى » التي وهبها له إسحاق هذا
الصوت . فقال لمخارق وعلّويه : والله لو عاش مَعْبُدٌ ما شقَّ غبارُ
إسحاق في هذا الصوت .

فقالا له : إنه لحسنٌ يا أمير المؤمنين .

فغضب وقال : ليس عندكما فيه إلا هذا !

ثم أقبل على أحمد بن المكِّي فقال : دعني من هذين الأحمقين ؛
أوّل بيت في هذا الصوت أربعُ كلمات : « الطلول » كلمة ، و « الدوارس »
كلمة ، و « فارقتها » كلمة ، و « الأوانس » كلمة ؛ فانظر هل ترك إسحاق
شيئاً من الصنعة يتصرّف فيه المغنِّي لم يُدْخِلْهُ في هذه الكلمات الأربع !
بدأ بها نشيداً ، وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صياحاً ، وإسجاحاً ،

وترجيحاً للنَّعَمِ ، واختلاساً فيها ، وعميلَ هذا كَلِّهِ في أربع كلمات .
فهل سَمِعْتَ أحداً تقدَّم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟
فقال : صدق أمير المؤمنين ، قد لحق مَنْ قبله وسبق مَنْ بعده .

شعره في دير مريم

لَمَّا خَرَجْتُ^١ مع الواصل إلى النَّجَفِ دُرْنَا بالحيرة ومررنا بدياراتها ؛
فَرَأَيْتُ دير مريم^٢ بالحيرة ، فأعجبني موقعه وحسنُ بناءه ؛ فقلتُ :

نِعَمَ المَحَلُّ ، لمن يسعى للذَّاتِ ،
ديرٌ لمريمَ ، فوقَ الظَّهرِ معمورٌ

ظِلٌّ ظليلٌ ، وماءٌ غيرُ ذي أَسْنٍ ،
وقاصِراتُ كَأَمْثالِ الدُّمَى حور^٣

فقال الواصل : لا نَصْطَبِحُ والله غداً إلا فيه .

وأمر بأن يُعدَّ فيه ما يصلحُ من الليل . وباكرناه فاصطبحنا فيه
على هذا الصوت ؛ وأمر بمالٍ ففُرِّقَ على أهل ذلك الدير ، وأمر
لي بجائزة .

١ الحديث لاسحاق .

٢ دير مريم أو دير مارت مريم : دير قديم بناه آل المنذر بين الحورثق والسدير وبين قصر
أبي الخصيب يشرف على النجف .

٣ القاصرات : اللواتي لا يمددن عيونهن إلى غير بعولتهن .

عند عبد الله بن طاهر

أخرج^١ إليّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بيتي شعري في رُقعة وقال :
هذان البيتان وجدتهما على بيساطٍ طبري أصبهبُديّ أهدي إليّ
من طبرستان ، فأحبُّ أن تُغنّيني فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هما :

لجَّ بالعين واكفُ ،

مِنْ هَوًى لا يُساعِفُ

كلّما كفَّ غرْبُها ،

هيّجَتْهُ المَعارِفُ^٢

قال : فغنّيت فيهما وغدّوتُ بهما إليه ، فأعجب بالصوت ووصلني
بصلة سنيّة ، وكان يشتهي ويقترحه ، وطرحته على جميع جواريه ،
وشاع خبر إعجابه به . فبينما المعتصمُ يوماً جالسٌ يُعرّضُ عليه فرشُ
الربيع ، إذ مرَّ به بيساطُ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان
البيتان ومعهما :

إنما الموتُ أن تفارقَ

مَنْ أَنْتَ آلِفُ

١ الحديث لاسحاق .

٢ الغرب : الدمع .

لَكَ حُبَّانٍ فِي الْفُؤَادِ ،
تَلِيدٌ وَطَارِفٌ

فَأَمَرَ بِالْبَسَاطِ فَحُمِلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ
لَهُ : إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ شُغْفَكَ بِالْغَنَاءِ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، فَلَمَّا وَقَعَ هَذَا الْبَسَاطُ
أَحْبَبْتُ أَنْ أُتِمَّ سُرُورَكَ بِهِ .
فَشَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ مَا تَأَدَّى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَأَعْظَمَ مَقْدَارَهُ ،
وَقَالَ لِي : وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ لَسُرُورِي بِتِمَامِ الشَّعْرِ أَشَدُّ مِنْ سُرُورِي
بِكُلِّ شَيْءٍ ، فَأَلْحَقَهُمَا فِي الْغَنَاءِ بِالْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، فَأَلْحَقْتُهُمَا .

نسبة هذا الصوت

لَجَّ بِالْعَيْنِ وَاكْفُ ،
مِنْ هَوًى لَا يُسَاعِفُ
كَلَّمَا كَفَّ غَرْبُهَا ،
هَيْجَتُهُ الْمَعَارِفُ
إِنَّمَا الْمَوْتُ أَنْ تَفَارِقَ
مَنْ أَنْتَ آلِفُ
لَكَ حُبَّانٍ فِي الْفُؤَادِ ،
تَلِيدٌ وَطَارِفٌ

وَلَمْ أَعْرِفْ مِنْ خَبَرِ شَاعِرِهِ غَيْرَ مَا ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْخَبَرِ .

عدد اصواته

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن ابن المكّي عن أبيه قال :
قلت لإسحاق يوماً : يا أبا محمد ، كم تكون صنعتك ؟
فقال : ما بلغت مائتين قط .

أخبرنا يحيى بن علي قال : حدثنا حمّاد بن إسحاق قال :
قال لي وكيّل بن الحاروني : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمد ،
كم يكون غناؤك ؟

قال : نحواً من أربعمائة صوت .

قال : وقال له رجل بحضرتي : ما لك لا تُكثر الصنعة كما
يُكثر الناس ؟

قال : لأنّي إنّما أنقر في صخرة .

مرضه ووفاته

وتوفي إسحاق ببغداد في أوّل خلافة المتوكل . فأخبرني الصّولي قال :
ذكر إبراهيم بن محمد الشّاهيني :

أنّ إسحاق كان يسأل الله ألا يبتليّه بالقولنج^١ لما رأى من

١ القولنج : مرض معوي مؤلم ، يعسر معه خروج التفل والريح .

صعوبته على أبيه ؛ فرأى في منامه كأنَّ قائلًا يقول له : قد أُجِبت
دعوتك ولست تموت بالقوائج ، ولكنك تموت بضده ؛ فأصابه ذرَبٌ^١
في شهر رمضان سنة خمسٍ وثلاثين ومائتين ؛ فكان يتصدَّق في كل
يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ، ثم ضعف عن الصوم فلم يُطِقه
ومات في شهر رمضان .

نعيه الى المتوكل

نُعي إسحاق الى المتوكل في وسط خلافته ، فغمَّه وحزن عليه ،
وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال الملك وبهائه وزينته .
ثم نُعي اليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام
الفتح بوفاة أحمد ، وما كنت آمنُ وثبنته علي ، مقام الفجعة بإسحاق ؛
فالحمد لله على ذلك !

رأيت^٢ فيما يرى النائم قائلًا يقول لي :

ومات الحُسان ابن الحُسان ،
ومات إحسانُ الزمان

١ الذرَب : داء يعرض للمعدة فلا تهضم معه الطعام ، ويفسد فيها فلا تمسكه .

٢ الحديث لرجل من قطربل .

فأصبحت من غد فر كبت في بعض حوائجي ، فتلقتني خبر وفاة
إسحاق الموصلي .

مراثي الشعراء فيه

وقال إدريس بن أبي حفصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

سقى الله ، يابن الموصلي ، بوابيل
من الغيث ، قبراً ، أنت فيه مقيم

ذهبت فأوحشت الكرام ، فما ينبي
بعبثرته ، يَبكي عليك كريم

إلى الله أشكو فقد إسحاق ، إنني ،
وإن كنت شيخاً بالعراق ، يتيم

وقال محمد بن عمر الجرجاني يرثيه :

على الجَدَث الشرقي عوجاً ، فسَلِّما
ببغداد ، لَمَّا ضَنَّ عنه عوائده

وقولاً له : لو كان للموت فِدْيَةٌ ،
فَدَاكَ ، من الموت ، الطَّريف وتالده

إسحاق ! لا تَبْعَد ! وإن كان قد رمى
بك الموت ورْدًا ، ليس يَصْدُرُ وارده

إذا هزل اخضرت فنون حديته ،
ورقت حواشيه ، وطابت مشاهدُه

وإن جدّ كان القولُ جدّاً ، وأقسمتُ
مخارجَه ألاّ تَلينَ معاقِدُه

فبكّ على ابن الموصليّ بعبرة ،
كما ارفضّ من نظم الجُمان فرائدُه

وقال مصعب بن عبد الله الزبيريّ يرثيه :

أتدري لمن تبكي العيون الذّوارف ،
ويَسْهَلُ منها واكفٌ ، ثم واكفٌ ؟

نعم لامرئٍ لم يبقَ في الناس مثله ،
مفيدٌ لعلم ، أو صديقٌ مُلاطِفٌ

تجهّزَ إسحاقٌ الى الله غادياً ،
فله ما ضمّت عليه اللقائقُ

وما حملَ النعشَ المزجّجى ، عشيّةً ،
الى القبر ، إلا دامعُ العينِ لاهِفٌ

١ اللقائق : الأكفان .

صدورهم مرضى ، عليه عبيدة^١ ،
لها أزمه^٢ ، من ذكره ، وزفاف^٣

ترى كل محزون تفيض جفونه
دموعاً ، على الحدين ، والوجه شاسف^٢

جزيت جزاء المحسنين مضاعفاً ،
كما كان جدواك الندى المتضاعف

فكم لك فينا من خلائق جزلة ،
سبقت بها منها حديث^٢ وسالف

هي الشهد ، أو أحلى الينا حلاوة^٢
من الشهد ، لم يمزج به الماء غارف

ذهبت وخليت الصديق بعولة ،
به أسف^٢ ، من حزنه ، مترادف

إذا خطرات الذكر عاودن قلبه ،
تتابع منهن الشؤون^٣ النوازف

١ ازمة : ضيق وشدة . و اراد بالزفاف الزفات حزناً عليه .

٢ الشاسف : اليأس .

٣ الشؤون : الدموع . النوازف : الفانيات لكثرة سيلانهن .

حبيبٌ الى الإخوان، يرزُون ماله،
 وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارف^١
 هو المنّ والسّلوى لمن يستفيده،
 وسمّ، على من يشرب السمّ، زاعِف
 بكت داره من بعده، وتنكّرت
 معالمُ، من آفاقِها، ومعارف
 فما الدار بالدار، التي كنت أعتري،
 وإني بها، لولا افتقاديك، عارف
 هي الدار، إلا أنها قد تحشّعت،
 وأظلمَ منها جانبٌ، فهو كاسِف
 وبان الجمالُ والفعال، كلاهما،
 من الدار واستنّت عليها العواصف^٢
 خلت داره من بعده، فكأنما
 بعاقبةٍ لم يُغنِ، في الدار، طائف
 وقد كان فيها للصديق مُعرّسٌ،
 وملتمسٌ إن طاف بالدار طائف^٣

١ يرزون، مسهل يرزأون : بصيرون ماله .

٢ استنّت : انصبت .

٣ المعرس : مكان نزول القوم ليلاً للاستراحة من السفر .

كرامة^١ إخوان الصفاء، وزلفة^٢
لمن جاء تزجيه اليه الرواجف^٣

صحابته الغرّ الكرام، ولم يكن
ليصحبه السود اللثام المقارِف^٢

يؤول اليه كلُّ أبلج شامخ،
ملوك وأبناء الملوك الغطارف

فلقّيت في يميني يديك صحيفة،
إذا نُشرت يوم الحساب الصحائف

يسرُّ الذي فيها إذا ما بدا له،
ويفتّر منها ضاحكاً، وهو واقف

بما كان ميموناً على كلِّ صاحب،
يُعين على ما نابه ويكازِف^٣

سريع إلى إخوانه برضائه،
وعن كلِّ ما ساء الأخلاء صارف

١ الزلفة : القرية . تزجيه : تدفعه . الرواجف : المخاوف . يريد انه يقرب من تدفعه اليه
المخاوف ليسري عنه .
٢ المقارِف : الأندال .
٣ يكاتِف : يعاون .

أرى الناس كالنَّسَناس لم يبقَ منهم ،
خلافك ، إلا حُشوةٌ وزعانيف^١

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : أنشدني أبو أيوب لأحمد بن إبراهيم يرثي
إسحاق في قصيدة له :

لقد طاب الحِمَامُ ، غداة أُلوي ،
بنفس أبي محمد ، الحِمَامُ
فلو قبيل الفداء ، إذا فَدَتْهُ
ملوكٌ ، كان يَأْلُفُهَا ، كرامُ
فلا تَبْعَدْ ! فكلُّ فتى سيثوي ،
عليه التَّشْرِبُ يُحْشَى والرجامُ^٢

قال وقال أيضاً يرثيه :

لله أيُّ فتى ، الى دار البلي ،
حملَ الرجالُ ضحى على الأعوادِ
كم من كريمٍ ما تجِفُّ دموعُهُ ،
من حاضرٍ يبكي عليه ، وبادِ

١ النسناس : خلق في صورة الناس . الحشوة : الارذال . الزعانف ، واحدها زعنفة :
الرذل ، الدون ، الخسيس .
٢ الرجام : الحجارة التي تجمع على القبور .

أَمْسَى يُؤْبِنُهُ ، وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ ،
مَنْ كَانَ يَتْلِبُهُ مِنَ الْحُسَّادِ
فَسَقَتَكَ يَا بْنَ الْمُوصَلِيِّ رَوَائِحُ ،
تُرْوِي صَدَاكَ بِصَوْنِهَا وَغَوَادِ

ومما في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ اللَّوَى مِنْ مَحَلَّةٍ ،
وَقَاتِلَ دُنْيَانَا بِهَا كَيْفَ ذَلَّتْ -

غَنِينَا زَمَانًا بِاللَّوَى ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ
عِرَاصُ اللَّوَى ، مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتْ

الشَّعْرُ لِلصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ ، وَالْغِنَاءُ لِإِسْحَاقِ .

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY

اسحاق الموصلي

٥	.	.	نسبه و كنيته - موضعه من العلم والادب
٦	.	.	روايته للحديث .
٧	.	.	تصحيحه لأجناس الغناء .
١٠	.	.	ام اسحاق وجنسها - منهاج دراسته
١١	.	.	زلزل يعلمه - تقدير ابن عائشة والمأمون له
١٢	.	.	تقصيه للحديث
١٣	.	.	اسحاق والضرير - من ماله ومن أدبه .
١٤	.	.	يرث الشعر من جرير .
١٥	.	.	بذله المال لزلزل - اجازته لبيت ارنجلا
١٧	.	.	اسحاق والأعرابي - دقة فهمه للغناء
١٩	.	.	يعجب بشعره
٢٠	.	.	سبب توليه خازماً - المعتصم يمتحنه بصوت
٢١	.	.	لحن رومي في شعر عربي
٢٢	.	.	يقدم زلزلا على ملاحظ
٢٦	.	.	يخله بالغناء .
٢٧	.	.	يهزأ براهيم بن المهدي .
٢٩	.	.	يفهم الخطأ بين ثمانين وترأ
٣٠	.	.	اسحاق من نعم الملك .
٣١	.	.	قاضي القضاة واسحاق .
٣٢	.	.	منزلته عند الواثق - تفوقه في فنه
٣٣	.	.	اغاضته لابراهيم بن المهدي
٣٥	.	.	الصديق الرديء
٣٧	.	.	ابن المهدي يسرقه
٣٩	.	.	مناظرته لابن المهدي عند المعتصم

٤٠	.	.	.	يتغنى بشعر ذي الرمة
٤١	.	.	.	غلاما ابن الرشيد
٤٤	.	.	.	كان في ندماء الوراق
٤٥	.	.	.	هو وابن المهدي عند الرشيد
٥٠	.	.	.	يغني الرشيد ويناديه
٥٣	.	.	.	ينادم ابن عائشة
٥٤	.	.	.	هدية وشعر بشعر - يودع بشعر
٥٥	.	.	.	مكتبته السيارة
٥٦	.	.	.	شعره في المعتصم
٥٨	.	.	.	في مقدمه من غزاته
٦٠	.	.	.	لحن لاسحاق صعب
٦١	.	.	.	يبنى لحنه على الاذان - هديته لابراهيم بن المهدي
٦٢	.	.	.	محاورته لعلويه
٧١	.	.	.	يشهد له بالصنعة
٧٣	.	.	.	يبكي شبابه
٧٤	.	.	.	اخفاق المغنين
٧٦	.	.	.	يحيى للمعتصم شعراً
٧٧	.	.	.	غضب الأمين عليه
٧٨	.	.	.	الأصمعي وشعر اسحاق
٧٩	.	.	.	معنى سبق اليه
٨٠	.	.	.	حوار لطيف
٨١	.	.	.	اسحاق وابن الربيع
٨٢	.	.	.	ينحل شعره الاعراب
٨٤	.	.	.	الرشيد يعجب بشعره
٨٦	.	.	.	شعره في حفيد ابن الربيع
٨٧	.	.	.	عبادته لابن الربيع - يسترضي بشعر
٩٠	.	.	.	يسقط المغنين
٩١	.	.	.	تخنيته في الغناء - المفنون في غيابه - غضب المأمون عليه
٩٢	.	.	.	أبو الأشعث يعجب به - اسحاق وزهراء الكلاية

٩٣	.	.	.	يطرب المعتصم
٩٤	.	.	.	اول جائزة من الرشيد
٩٥	.	.	.	ساق قبيح الوجه
٩٦	.	.	.	زهراء الكلاية تناشده
٩٧	.	.	.	يكنم قصة أشار اليها
٩٨	.	.	.	ابن الاعرابي يعجب به - الأول والآخر
٩٩	.	.	.	يتهم بالانتحال
١٠٣	.	.	.	حديثه بشأن الأهزاج - غناؤه ابن طاهر
١٠٥	.	.	.	مهاجراته محمد بن راشد
١١١	.	.	.	الثناء عليه
١١٢	.	.	.	يفني المأمون
١١٣	.	.	.	مدحه عند الواثق
١١٤	.	.	.	يعجب بقناء خباز
١١٥	.	.	.	يستحسن أصواته من غيره
١١٨	.	.	.	بين يدي المعتصم
١١٩	.	.	.	دقته في الوصف
١٢٠	.	.	.	يتبرم باسم مغن - لحن على لحن اذان - حفظه للاهزاج
١٢١	.	.	.	ذل المغنين له - خلاف على الترد
١٢٣	.	.	.	شكاية المأمون اليه
١٢٤	.	.	.	مدح اعرابية له
١٢٥	.	.	.	معانيته لمهاجر له - صدقه في الأخبار
١٢٦	.	.	.	يخطي علويه
١٢٧	.	.	.	حواره مع علويه
١٢٩	.	.	.	ابن طاهر يمدحه
١٣٠	.	.	.	الواثق يأخذ لحنه
١٣١	.	.	.	يضرب على عود مشوش
١٣٣	.	.	.	يوم لدن الطرفين - الواثق يخلع عليه
١٣٤	.	.	.	يشتاقي الى بغداد
١٣٥	.	.	.	طيب هواء النجف

١٣٧	.	.	.	.	لحنه ولحن الوراق
١٤١	.	.	.	.	مخارق يكيد به
١٤٢	.	.	.	.	بينه وبين الوراق
١٤٥	.	.	.	.	ابن عياش وذو الرمة
١٤٦	.	.	.	.	أيهما أجود ؟
١٤٧	.	.	.	.	ابن المعتز يفضل الوراق - يعرض صنعه على اسحاق - آخر صوت صنعه
١٤٨	.	.	.	.	شعر أبي القنافذ
١٥٠	.	.	.	.	يطلب نبيذاً - ليس تسرق لحنه
١٥٢	.	.	.	.	جائزة الأمين
١٥٣	.	.	.	.	الوراق يعجب بجوابه
١٥٤	.	.	.	.	بيت يزداد على لحنه - ينشد مروان شعره
١٥٥	.	.	.	.	يسكر على شعر
١٥٦	.	.	.	.	حكاية بساط الفضل
١٥٧	.	.	.	.	مناظرته لأبيه
١٥٨	.	.	.	.	شعره في الوراق - داليتيه في الوراق
١٥٩	.	.	.	.	الناس حمير
١٦٠	.	.	.	.	يرقص ويغني الرشيد
١٦٢	.	.	.	.	يرجع عن توبته - تعصبه للقدمات
١٦٣	.	.	.	.	صنعه وغناؤه
١٦٥	.	.	.	.	يشبه صوتاً له
١٦٦	.	.	.	.	هو وابن معاذ والأمين
١٦٩	.	.	.	.	ذكرى الصبا - حكم على لحن له
١٧٠	.	.	.	.	سبب ضعف بصره
١٧١	.	.	.	.	اسحاق وابن أخي سلمة
١٧٣	.	.	.	.	يأخذ بلحيته ويبيكي
١٧٤	.	.	.	.	المأمون والغناء
١٧٥	.	.	.	.	غناء يخالط الروح
١٧٦	.	.	.	.	يتهادون صوته
١٧٧	.	.	.	.	الفارس الموصل - اسحاق وحمزة الزيات

١٧٨	.	.	شعر فيه - يهجو الاصمعي ويسكته
١٨٠	.	.	الاصمعي القرد
١٨٣	.	.	وصيفة الواثق
١٨٤	.	.	الواثق خاثر النفس
١٨٥	.	.	الموصلي والمأمون
١٨٦	.	.	يفضله ويعظمه
١٨٧	.	.	الفراغ والشباب والجدّة - يعتق غلامه
١٨٨	.	.	جنون أبي البصير - الرشيد ينهيه
١٨٩	.	.	المرسلات عرفاً - شعر في البرامكة
١٩٠	.	.	يسترضي المأمون بشعر
١٩١	.	.	صباح عند الواثق
١٩٦	.	.	اشعار في الفروسية
١٩٧	.	.	يعجبه غناء ملاحظ
١٩٩	.	.	الرشيد يزجره
٢٠٠	.	.	في مجلس المعتصم
٢٠١	.	.	غناء بلحن اسحاق
٢٠٢	.	.	يعارض ابن سريج
٢٠٣	.	.	يصوب قول المعتصم
٢٠٤	.	.	الهجج القديم - اسحاق الماكر
٢٠٥	.	.	ينشد الاعراب شعره
٢٠٧	.	.	المغنون يتلاشون امامه
٢٠٨	.	.	شعره في الشيب - يتكهنون عن غائب
٢١٠	.	.	سفينة محمد المخلوع
٢١١	.	.	يتشوق الى اهله
٢١٢	.	.	جعفر البرمكي والهاشمي
٢١٦	.	.	ابوه يعجب بلحنه
٢١٧	.	.	لا رواية ولا دراية - رثاؤه هزيمة الحمار
٢١٨	.	.	خاتم الكرام - تشاغله عن دعوة
٢٢٠	.	.	يعاتب ابن هشام - عودته من البصرة

٢٢١	.	.	.	يزيد على شعر جميل
٢٢٣	.	.	.	عند اسحاق المصمعي
٢٢٥	.	.	.	بعد ان كف بصره
٢٢٧	.	.	.	يتطير من صوت
٢٢٨	.	.	.	كسر الغلام الحايية
٢٢٩	.	.	.	صوت يعجز المغنين
٢٣٠	.	.	.	غزال دير القائم
٢٣٣	.	.	.	يدخل على الرشيد مغنياً
٢٣٤	.	.	.	عند الفضل بن الربيع
٢٣٥	.	.	.	شعره في جارية سقته
٢٣٦	.	.	.	سواط يدعي صوتاً له
٢٣٧	.	.	.	مدحه جعفر بن يحيى
٢٣٨	.	.	.	يدخل الى بيت متطفلاً
٢٤٣	.	.	.	الوائق يعجب بصوته
٢٤٤	.	.	.	شعره في دير مريم
٢٤٥	.	.	.	عند عبد الله بن طاهر
٢٤٧	.	.	.	عدد أصواته - مرضه ووفاته
٢٤٨	.	.	.	نعيه الى المتوكل
٢٤٩	.	.	.	مراثي الشعراء فيه

قطوف الاغانى

الكتب التي صدرت من هذه المجموعة

بشار بن برد

مجنون بني عامر (مجنون ليلي)

جرير

عمر بن أبي ربيعة

أبو العتاهية

الوليد بن يزيد

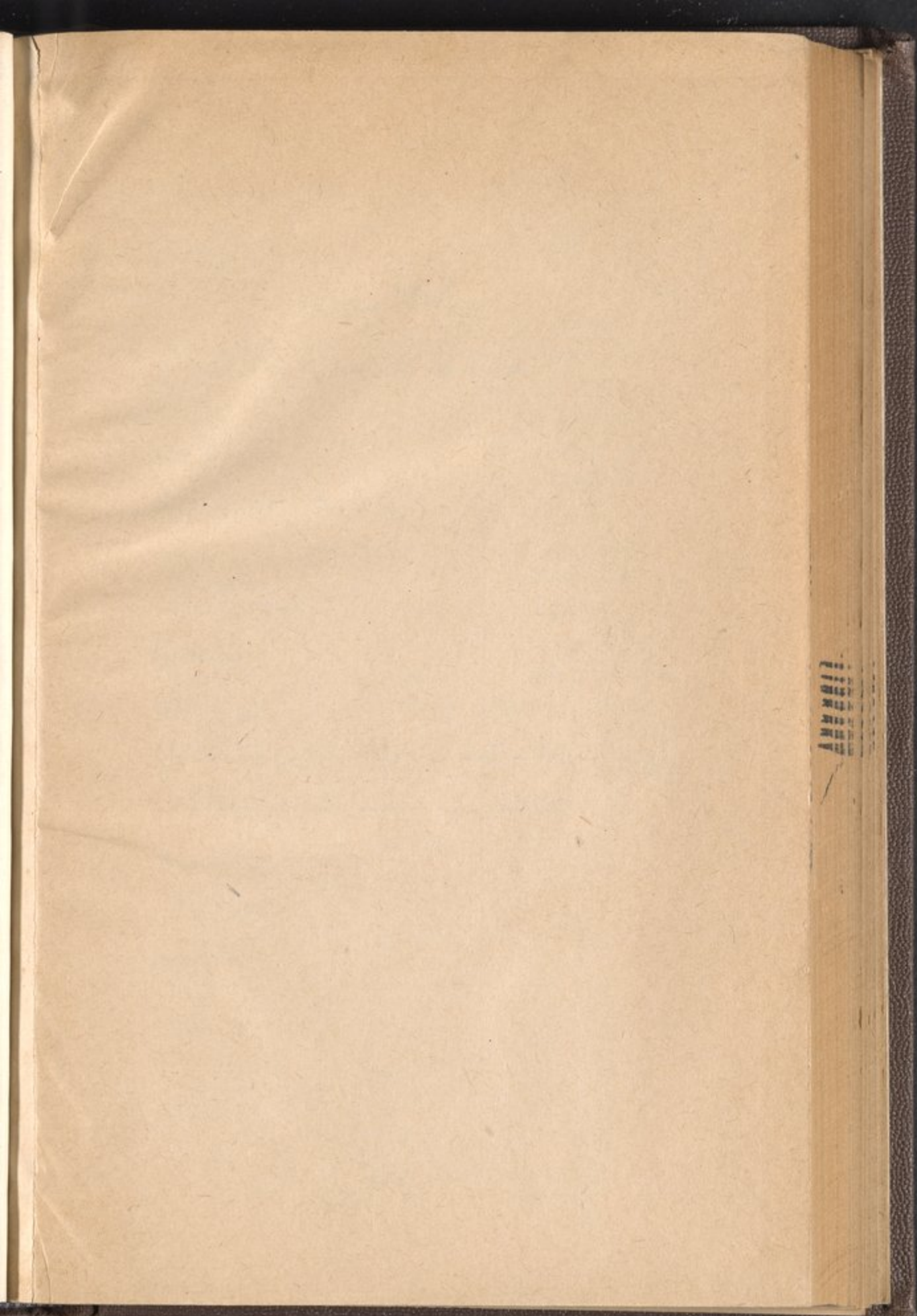
ليلى الاخيلية وتوبة - عائشة بنت طلحة - الحارث المخزومي

سلامة القس - جميلة المغنية - متيّم المشامية

قيس بن ذريح - وضّاح اليمن

ابراهيم الموصلي

إسحاق الموصلي



I 16878732

B 13101912

DATE DUE

- - MAR 1972

ML
420
I 2
A2x
1951



